شؤون إيرانية
Iranian affairs

- إيران.. وأكذوبة «محور المقاومة»
- بالوقائع.. إيران جعلت «الاتفاق النووي» حبرًا على ورق
- تمدد الإمبريالية الإيرانية إلى تونس

مجلة شؤون إيرانية - العدد السادس - جمادى الأولى 1443 هـ - ديسمبر/ كانون الأول 2021م
IranianAffairsMagazine - No.6 - Dec 2021

ماذا تحقق بعد 100 يوم؟

www.alkhalej.net

شؤون إيرانية

مجلة تصدر عن:
مركز الخليج للدراسات الإيرانية
لندن / القاهرة

www.alkhalej.net

العدد السادس

السنة الأولى

جمادى الأولى 1443هـ - ديسمبر/ كانون الأول 2021م

رئيس التحرير
شريف عبد الحميد
Sherif Abdelhamied
Editor-in-Chief

مستشار التحرير
د. شادي العفيفي

مجلس التحرير
طه الشريف
محمود رأفت
مروان محمود
أحمد النعماني

حقوق نشر جميع المواد محفوظة

محتويات العدد

- ماذا تريد إيران من الدول العربية؟ 4
- إيران.. وأكذوبة «محور المقاومة» 7
- «محور المقاومة».. إيقاظ الفتنة النائمة (1) 8
- «محور المقاومة».. ركيزة العمق الإيراني (2) 10
- أعضاء «محور المقاومة».. أذرع وعملاء وخونة (3) 13
- وجهان لـ «محور» واحد.. السياسي الثوري والطائفي القبيح (4) 16
- محور المقاومة.. «تحديات البقاء» (5) 18
- سياسة الخداع الاستراتيجي.. مفهوم «الاستضعاف» نموذجًا (1).. 20
- سياسة الخداع الاستراتيجي.. هل تحارب إيران «الاستكبار» حقًا؟ (2) 22
- ماذا تحقق بعد 100 يوم من تنصيب رئيس إيران؟ 24
- الإسنادات والأدوات وما بعد الترسيخ 28
- في 7 نقاط.. ما هي العقوبات الاقتصادية الأمريكية؟ 35
- ماذا حققت العقوبات الأمريكية على إيران؟ 37
- إيران واليهود 38
- اليمن.. مأرب تطيح بمخططات «إيرلو» والحرس الثوري الإيراني 41
- بالوقائع.. إيران جعلت «الاتفاق النووي» حبراً على ورق 43
- «طريق السبايا».. بين الواقع التاريخي والتوظيف السياسي والطائفي 46
- العميد فروزنده.. مهد لسيطرة إيران على العراق بفرق الموت والاغتيالات 51
- ما هي «الخطه ب» الآن في المفاوضات بين إيران والقوى الكبرى؟ 54
- وقفة تضامنية مع القادة الأحوازيين المحتجزين في الدنمارك 57
- الخميني أول من أفتى بالتحول الجنسي.. حكاية المتحولات جنسيًا في الملاعب الإيرانية 59

المراسلات:

البريد الإلكتروني (التحرير): alkhalejnet@gmail.com

الاشتراكات:

السنة الواحدة (اثنا عشر عدداً) تشمل تكلفة البريد

داخل مصر:400 جنيه مصري – اتحاد بريد عربي: 100 دولارًا أمريكيًا – أوروبا وأفريقيا: 120 دولارًا أمريكيًا – أمريكا وكندا: 130 دولارًا أمريكيًا – باقي دول العالم: 150 دولار أمريكي.

الاشتراكات

باسم رئيس التحرير: sherif5566@gmail.com

هاتف: 201002686541+

واتس آب (المركز): 201015039040+

واتس آب (المجلة): 201145773008+

ثمن النسخة:

مصر 30 جنيه مصري- السعودية 20 ريالاً – الكويت 1,5دينار – الإمارات 20 درهماً – مملكة البحرين 2 دينار – سلطنة عُمان 2 ريال – لبنان 5000 ليرة – الأردن 3 دينار – الجزائر 500 دينار – المغرب 50 درهمًا – تونس 10 دنانير – فلسطين 10 دولارات.

Austria,France,Germany and Italy:

EURO 10 – United Kingdom £5 – USA $10.

كاريكاتير

هشام صبري

ماذا تريد إيران من الدول العربية؟

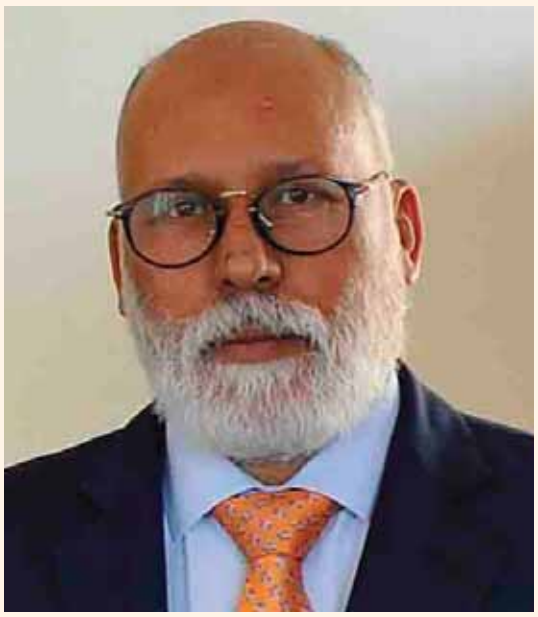

شريف عبد الحميد

ذات يوم، قال الجنرال الدموي المغدور قاسم سليماني، عرّاب التدخلات الإيرانية في المنطقة: «نحن كبشرٍ لا يمكننا التحمّل عندما تكون الأمم من حولنا في حال يُرثى لها، لدينا واجبات إسلامية تتطلَّب حمايتهم، اهتماماتنا لا تبحث عن أرباح، لا نحتاج إلى أيّ شيء من العراق أو أي دولة أخرى، لكن عندما يُصاب جيراننا بالطاعون أو الكوليرا أو بلاء آخر عظيم علينا أن نُقدِّم المساعدة لهم، لكي نعيش جميعًا بسلام»!

خطاب «سليماني» لم يكن سوى جزء من الأكاذيب التي تبثها آلة الدعاية الإيرانية، بشأن «النوايا الحسنة» في علاقة طهران مع دول الجوار الجغرافي، وهو ما ينطبق عليه المثل القائل «أسمع كلامك أصدقك، أشوف أمورك أستعجب»!

ومثل هذا الأمر يوجب طرح السؤال المصيري التالي، خصوصًا في ظل التطورات الحالية في الملف النووي الإيراني، وهو: ماذا تريد إيران، بالضبط، من الدول العربية؟

هل تريد إيران فرض نفوذها وهيمنتها على المنطقة وعلى جيرانها، أم تريد نشر المذهب الشيعي في العالم الإسلامي والقضاء على المسلمين السنة، وهل نصدقها عندما تهدد علنًا بـ «القضاء على إسرائيل» من أجل استقلال فلسطين، وهي التي دأبت على إطلاق شعارات جوفاء من خلال إعلامها عن الدفاع عن القدس والأراضي الفلسطينية، ولكنها لم تحاول مرة واحدة فقط أن تطلق رصاصة باتجاه (إسرائيل) على مدى الـ 40 عامًا الماضية!

لقد دأب النظام الإيراني منذ نجاح ثورة الخميني عام 1997 على إظهار وجهه القبيح لجيرانه العرب، الذين تربطهم بإيران وشائج الجوار والدين والإرث الحضاري المشترك، وهي العوامل التي كان من المفترض أن تؤدي إلى صداقة «عربية- إيرانية» قوامها التعاون لتحقيق مصلحة شعوب المنطقة. غير أن ملالي طهران دفعوا جيرانهم دفعًا إلى اعتبارهم ألدّ الأعداء، والتوجس منهم، بعد ما ذاقته بعض دولنا العربية، ومنها العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين، من ويلات ومصائب على أيدي أصحاب «العمائم السوداء».

وتحولت العلاقة «العربية - الإيرانية» من صداقة حميمة مع نظام الشاه محمد رضا بهلوي، إلى عداوة بغيضة مع نظام الملالي الجدد، الذين عمدوا إلى تبني سياسة «تصدير الثورة» للمحيط الجغرافي، الأمر الذي تنبهت إليه العواصم العربية مبكرًا، حيث بدأ التدخل الإيراني في شؤون المنطقة، فعقب ثورة الخميني بأشهر قليلة كانت المنطقة على موعد مع تأسيس «حزب الله» اللبناني في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، كجزء من جهد إيراني لتجميع مجموعة متنوعة من الجماعات الشيعية اللبنانية المسلحة تحت سقف واحد، على أن تكون مهمة الحزب هي العمل «كوكيل لإيران» في المنطقة، بهدف تصدير الإرهاب وزرع الخلايا النائمة، وضرب الاستقرار السياسي والاجتماعي في الدول العربية، وصولًا إلى التدخل عسكريًا ضد الشعوب العربية المغلوبة على أمرها، كما حدث في سوريا لاحقًا.

اتساع دائرة الفوضى

من المعلوم أن إيران هي أكثر دولة على مر التاريخ، سعت إلى التدخل في شؤون المنطقة، الأمر الذي قاد إلى قدر أكبر من التأزم في الشؤون الإقليمية، وأسهم في اتساع دائرة الفوضى وعدم الاستقرار في المنطقة، وسلكت طهران في تنفيذ استراتيجيتها العبثية والتوسعية طرقًا شتى، من التدخل المباشر في شؤون بعض الدول العربية إلى خلق الميليشيات وفق أسس مذهبية، وزرع الخلايا النائمة في بعض الدول للنيل من استقرارها عند الحاجة، وانتهاءً بتهديدها للسلم والأمن الإقليمي من خلال برنامجها النووي وتطوير قدراتها في مجال الصواريخ الباليستية، وكذلك الطائرات من دون طيار وتزويدها للميليشيات التابعة لها بالسلاح والعتاد العسكري.

والراصد لأداء النظام الإيراني وعلاقته بالمنطقة العربية، يجد أن لدى طهران تصورًا وبرنامجًا وخطة عمل للدخول والانتشار في دول المنطقة، من خلال نشر الفكر الشيعي، ليس حبًا في المبدأ الشيعي، ولكن كوسيلة

لاختراق المجتمعات العربية، من خلال انتهاج آليات وأساليب متعددة ومختلفة، انطلاقًا من مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، ومنها نشر الإرهاب الدموي والبلبلة والتفكك الاجتماعي والسياسي، ومحاولة الاستحواذ على بعض الفعاليات الاقتصادية في بعض الدول العربية، وبالذات البلدان الخليجية.

ومارست إيران دورًا عدوانيًا واستفزازيًا لبعض الدول العربية، كانتهاجها للحرب الإلكترونية واختراق بعض الكيانات العربية، وبث ونشر الفرقة لإضعاف الجبهات الداخلية لدولنا، واستيلاؤها على بعض المرافق السياسية والاقتصادية، كما حدث في لبنان وسوريا والعراق واليمن.

وبلغ «المشروع الاستعماري» الإيراني الذي يستهدف الدول العربية مدىً خطيرًا، خلال الأعوام الأخيرة، لم تبلغه القوى الاستعمارية القديمة يومًا ما، بحيث بات هذا المشروع خطرًا داهمًا يهدد مقدرات الأمة برمتها، بعد أن أصبح ملالي إيران يتحكمون في القرارات المصيرية لبعض الدول العربية التي تُحكم من طهران مباشرة!

وأمام المسارات الإيرانية التي يتضح أنها ستؤثر بشكل أو بآخر على العالم العربي بشكل عام، ودول الخليج بشكل خاص، بات لزامًا الاستشعار الجماعي لتلك المخاطر، وأن تمتلك الدول العربية الإرادة السياسية لبلورة مقاربات سياسية وقدرات دفاعية مشتركة للحد من التحديات الإيرانية المتوقعة.

في المقابل، كان من أول أسباب العداء العربي لإيران تحت حكم الملالي، هو حجم الكراهية والعنصرية التي تموج بها الأوساط الإيرانية حيال العرب، ففي عام 2015، انتشرت على نطاق واسع في أوساط الشباب الإيراني أغنية عنصرية اسمها «كِش عرب» وهي الكلمة المستخدمة في لعبة الشطرنج، ومعناها «مات». وأُذيعت هذه الأغنية العنصرية في الإذاعات على نطاق واسع بترخيص من وزارة الثقافة الإيرانية، وكانت الرسالة غير المعلنة من الأغنية هي «اقتل عربيا»!

ويتمحور الحقد الفارسي الصفوي في طلب «الانتقام من العرب» الذين هزموا الإمبراطورية الفارسية القديمة. ويتبدى هذا الحقد في تصريحات قادة نظام الملالي الحاكم، الذين فرضوا على الطلاب الإيرانيين مناهج دراسية تعتبر العربي «شخصًا منحطًا» لا هم له إلاّ إشباع رغباته الجسدية، ولا صلة له من قريب أو بعيد بالتحضر أو الحضارة!

نظرة على المستقبل

تواجه الدول العربية المعنية - بشكل مباشر- بالصراع مع إيران، في الوقت الراهن، ضغوطًا من قِبل الإدارة الأمريكية الجديدة، تطالبها بالتغيير وبإعادة تشكيل العلاقة مع طهران، ومن ثم فنحن أمام تدخل خارجي هائل سيؤثر بقوة وبشدة على التوازنات الإقليمية وعلى الأنظمة الداخلية، الأمر الذي يتطلب تحركًا عربيًا واضحًا يستند إلى عملية بناء وتعميق القدرات والإمكانات الذاتية للدول العربية مجتمعة.

وإذا كان العرب في حيرة من أهداف إيران، فإن حكام طهران يدركون تمامًا أهدافهم، ولديهم خطط استراتيجية لتنفيذها، فإيران قوة إقليمية مثل باكستان وتركيا ومصر والسعودية، ولكنها تريد أن تصبح «قوة عظمى» في المنطقة تدير أمور دولها بما تراه هي مناسبًا، وتفرض رؤيتها للأمن والاستقرار في منطقة الخليج والمشرق العربي على كل دولها، وتتوق لأن تعود إلى مكانة «الحليف الأول» للولايات المتحدة في المنطقة كما كانت أيام الشاه، وليس فقط بديلا، وإنما تريد دورًا أكبر من المملكة العربية السعودية وأنياب أكثر شراسة!

ولا جدال أن أي حوار حقيقي مع إيران إنما هو - بالتأكيد- فرصة للدول العربية ولشعوب الشرق الأوسط، كما أنه فرصة للإيرانيين قبل غيرهم، للتعاون واستثمار الإمكانات العظيمة للإقليم برمته.

غير أن الدول العربية تعلم جيدًا منذ عام 1979 أنه ليس في مقدورها الاطمئنان للأحلام الوردية بشأن طموحات إيران الإقليمية، التي يعلمها القاصي والداني. كما تعلم المنطقة أنه لا أحد لا يملك ترف الانتظار، لبيان أي اتجاهات سيسلكها النظام الإيراني، أو أي نتائج إقليمية ستترتب على إعادة إحياء «الاتفاق النووي». وحتى ذلك الحين، فإن كل دولة من دول المنطقة تعمل بشكل منفرد، وبشكل تشاركي، على وضع ديناميات وقائية تجاه إيران، تحسبًا لما قد يحدث من تطورات في المدى المنظور.

العدد السادس
ديسمبر 2021

إيران جعلت «الاتفاق النووي» حبرًا على ورق

دأب النظـام الإيراني على إعلان التزامه التام بـ «الاتفاق النووي» الموقّع مع الولايات المتحدة والقوى الكبرى عام 2015، والذي جاء بعد مفاوضات طويلة استمرت قرابة 10 سنوات.

ورغم هذا الإعلان الإيراني، إلا أن طهران قامت بأنشـطة علنية وسـرية من شأنها رفع نسـبة تخصيب اليورانيوم إلى 60%، للوصول إلى النسـبة اللازمة لصناعة القنبلة النووية، فـي انتهاك صريح للالتزامات المقررة بموجب هذا الاتفاق، الذي جعلته إيران حبرًا على ورق.

شؤون إيرانية
@IranianAffairsMagazine

إيران.. وأكذوبة «محور المقاومة»

نجح النظام الإيراني من خلال عمل جاد ودؤوب، على مدار ٤٠ عامًا هي عمر «الثورة الإسلامية»، في إيجاد عمق استراتيجي واسع لمشروعه التوسعي في المنطقة العربية، تحت مُسمى «محور المقاومة»، يمتد عبر طيف «جيوسياسي» واسع، من طهران إلى لبنان وفلسطين، مرورًا ببغداد ودمشق، وصولًا إلى صنعاء. ويجسد هذا المحور تصورات إيران لدورها الإقليمي، وآليات تعظيم نفوذها في المنطقة، بما يحقق مصالحها العليا، ويضمن لها إحكام السيطرة على مقدرات الأمة العربية.

وكان الهدف المعلن من «محور المقاومة» المزعوم، هو استقطاب كل نظام أو منظمة أو جماعة أو طائفة، تقف إلى جنب إيران في مواجهة الهيمنة الأمريكية على المنطقة، ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وعلى رأسها «حزب الله» اللبناني، وبعض فصائل المقاومة الإسلامية في فلسطين، وجماعة «الحوثي» اليمنية، ومليشيات «الحشد الشعبي» في العراق، والنظام الديكتاتوري الحاكم في سوريا.

أمّا الهدف الحقيقي من ذلك المحور، فهو إنشاء «هلال شيعي» لتطويق المنطقة العربية، والعبث بأمنها القومي، وإيجاد الظروف السياسية المواتية لـ «تصدير الثورة» الإيرانية إلى بلدان المنطقة، بحيث يصبح نظام الملالي هو المثال الأعلى لحكم الدول العربية، وتصير «ولاية الفقيه» هي الأسلوب الأمثل لإدارة شؤون الشعوب، وبالتالي تعود إيران «إمبراطورية فارسية» كما كانت في غابر الزمان!

وفي غيبة أي مشروع عربي لمواجهة هذا المحور الكاذب، أعادت طهران «إنتاج الهوية الشيعية» في العراق ولبنان واليمن، على أسس أيديولوجية؛ ودعمت النظام العلوي السوري برئاسة بشار الأسد، فنجحت في اختلاق هويات طائفية تسعى من تلقاء نفسها نحو تعزيز نفوذ إيران «الجيوسياسي» في منطقة الشرق الأوسط.

وفي هذا الملف، نكشف عن الوجه القبيح لـ «محور المقاومة» باعتباره مجرد أكذوبة إيرانية، الهدف منها هو خدمة مشاريع الملالي ومخططاتهم التوسعية المستمرة، وليس «مقاومة» أي مشاريع أخرى، سواء أمريكية أو صهيونية في المنطقة. وهو ما يؤكد أن طهران تكذب وتتجمل، لإسباغ مُثل سياسية عليا على مشاريعها العدوانية، فمن اليمن إلى العراق ومن سوريا إلى لبنان، يُخيّم كابوس «محور المقاومة» على هذه البلدان، فيحيل أهلها قرابين فداء، قتلًا وتغييبًا وتعذيبًا واعتقالات، من أجل أن يستمر المشروع الإمبراطوري الإيراني على قيد الحياة.

رصد ومتابعة علمية

د. سعيد الصباغ
أستاذ الدراسات الإيرانية المعاصرة بكلية الآداب جامعة عين شمس،
ورئيس وحدة الدراسات الإيرانية بمركز بحوث الشرق الأوسط

شريف عبدالحميد
رئيس مركز الخليج للدراسات الإيرانية
رئيس تحرير شؤون إيرانية

«محور المقاومة».. إيقاظ الفتنة النائمة (1)

■■ أيقظ نظام الملالي «الفتنة النائمة» بين عموم المسلمين، عندما عمد بعد قيام ثورة 1979 إلى إحياء مفاهيم الصراع التاريخي على «مركزية السلطة» والدعوة إلى الثأر ممن اغتصب «حق الأئمة» في الولاية على المسلمين، فأعاد المنطقة برمتها إلى الوراء، وتحديداً إلى حقبة «الفتنة الكبرى» التي كان من المفترض أن تسكن كتب التاريخ!

وهكذا، اعتمدت إيران يوما بعد يوم تحت حكم الملالي، على توظيف الجماهير في بناء وتعزيز «محور المقاومة الإسلامية»؛ من أجل تحقيق الغاية الاستراتيجية منه، ألا وهي أن تصير إيران «قطبا إقليميا» لا تنازعه قوة سياسية، ولا تنافسه طاقة روحية.

وفي هذا الصدد، استحدثت إيران مقاربة أيديولوجية لمنطقة الشرق الأوسط، استندت فيها إلى كل مكونات قدراتها الجيوسياسية، وقيمها الثورية، واصطحبت معها مفاهيم الصراع التاريخي على مركزية السلطة، والثأر ممن اغتصب «حق الأئمة» في الولاية على المسلمين.

اختلاق هويات طائفية

أفضت هذه المقاربة الاستراتيجية، إلى نجاح إيران في خلق عمق استراتيجي لها بمنطقة الشرق الأوسط؛ أعادت فيه «انتاج الهوية» في كل من العراق ولبنان واليمن على أسس أيديولوجية؛ أو اختلاق هويات طائفية تسعى من تلقاء ذاتها نحو تعزيز نفوذ إيران الجيوسياسي بالمنطقة تحت ما يسمى «محور المقاومة الإسلامية».

وما كان لهذه المقاربة أن تحقق أهدافها المنشودة إلا لأنها انتهجت مسارين متكاملين في هذا الشأن، مسار اعتمدت فيه على الاستثمار الأمثل لـ «قواها الناعمة» في تكوين قاعدة جماهيرية متماسكة ومؤهلة لاستقبال قيم الثورة الإسلامية بل ومؤمنة بأهدافها أيضا.

ويعود الفضل في تحقيق هذه الغاية الاستراتيجية إلى نجاح الأجهزة الإيرانية، فيما يلي:

أولا: تبني خطاب جماهيري من شأنه ترسيخ الصورة الذهنية للنظام الإيراني بوصفه نظام معاد لإسرائيل، ومجابه للهيمنة الأمريكية؛ لن تسمح بخضوع إيران أو إذعانها لهذين البلدين، خاصة أن هذه الهيمنة كانت سببا لإصابتها بوهن استراتيجي قبل الثورة.

ثانيا: تحديد الأهداف وترتيب الأولويات؛ بهدف تعظيم مردود المصالح الإيرانية العليا، وتوطيد مرتكزات نفوذها الإقليمي، مع ضمان أمنه وسلامته. فضلا عن تعزيز مكانتها الروحية التي تكسبها حق الدفاع عن حقوق جميع المسلمين (وفق المادة 153 من الدستور) ودعم النضال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين في أية نقطة من العالم (وفق المادة 154).

ثالثا: الإبقاء على أي صراع محتمل نشوبه في جوارها العربي، خارج أراضيها، منعا لتكرار تجربة حرب الثماني سنوات مع العراق (1980 ـ 1988م) وذلك من خلال تقديم الدعم والمساندة للأقليات والطوائف الشيعية بالمنطقة، وتحويل بعضها إلى ظهير جماهيري مساند لمواقفها السياسية، وبعضها الآخر إلى ظهير مسلح دأبه إبقاء ميزان القوى في صالح طهران على الدوام.

الملالي أيقظوا «الفتنة النائمة» بين المسلمين عندما عمدوا إلى إحياء مفاهيم الصراع التاريخي على مركزية السلطة

وهكذا، نجحت إيران في إيجاد عمق استراتيجي واسع، يمتد من طهران إلى لبنان وفلسطين مرورا ببغداد ودمشق، ثم اليمن مؤخرا. وهو العمق الذي سبق أن نبه إليه مبكرا العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني بن الحسين، في حديث له مع صحيفة واشنطن بوست، عام 2004م، محذرا فيه مما أسماه في ذلك الوقت بـ «الهلال الشيعي». وهو المسمى الذي احتوى في جوهره توصيفا أيديولوجيا واعيا، كشف فيه مدى إدراك هذا الملك العربي لخطورة التوجهات الإيرانية؛ من كونها «سوف تؤثر على مستقبل الاستقرار الإقليمي، نظرا لأنها تحمل في طياتها إدخال تغيرات واضحة على خريطة المصالح السياسية والاقتصادية لبعض دول المنطقة».

وعلى الرغم من تحذير الملك «عبد الله» المشار إليه؛ إلا أن إيران نجحت، بفعل جملة من العوامل التي سيتم التطرق إليها لاحقا، في تحويل أبناء بعض الطوائف الشيعية بالمنطقة، من مجرد مؤيدين لمواقفها السياسية، إلى عناصر منضوية تحت ألوية المليشيات والفصائل والجماعات المسلحة التي كونها الحرس الثوري؛ لتخوض المعارك نيابة عن إيران، وطاعة لوليها الفقيه، تحت مظلة واسعة تسمى محور المقاومة الإسلامية، كما سبق الإشارة سلفا. ولعل هذا ما يمثل في حد ذاته أحد مبررات القيام بهذه الدراسة، ويعزز من أهميتها.

ويجسد «محور المقاومة الإسلامية» تصورات إيران الاستراتيجية لدورها الإقليمي وآليات تعظيم نفوذها داخل منطقة الشرق الأوسط، ولاتجاهات حركتها نحو بناء عمق استراتيجي يحقق لها مصالحها العليا.

حدود «العمق الاستراتيجي»

لعلنا نرى ضرورة لأن نعرّف بمفهوم «العمق الاستراتيجي» بشكل موجز، قبل أن نعرج إلى معالجة محور المقاومة الإسلامية على مستوى المفهوم وعوامل النشأة، وذلك على النحو التالي:

تشير التعريفات التقليدية لمفهوم «العمق الاستراتيجي» إلى نجاح دولة ما في استخدام ما تمتلكه من أدوات سياسية ودبلوماسية، وميزات جغرافية، وكتلة حيوية، ومعتقدات وقيم تاريخية وثقافية، إلى جانب قدراتها الدفاعية، سواء الفعلية أو المحتملة، في الدفاع عن نفسها ضد الدول المعادية لها.

كما يُعرف العمق الاستراتيجي في الأدبيات العسكرية، بالمسافة الفاصلة بين خطوط المواجهة العسكرية، وبين المناطق الرئيسية بقلب الدولة المعادية. وبناء عليه، فإن الدولة التي تنجح في خلق عمق استراتيجي لها داخل بلد آخر، سوف تحقق لنفسها التفوق في أي مواجهة محتملة بينهما، بعيدا عن خطوط المواجهة العسكرية مع هذا البلد.

وعادة ما يتضمن العمق الاستراتيجي أيضا بعدا آخر، يتمثل فيما يمكن أن يطلق عليه العمق التفاعلي الاستراتيجي الذي يمكن الدولة من الاستخدام الأمثل لقوتها الناعمة لتحقيق نفوذها الإقليمي، أو لتعزيز علاقات التفاهم المتبادل بينها وبين دول الجوار. وبهذا المعنى يتضح لنا أن العمق الاستراتيجي يتمتع أيضا بدرجة تأثير روحي واسع، يمكن أن نطلق عليه العمق الاستراتيجي الثقافي. وهذا هو الذي وفر لإيران فرصا مواتية لأن تتمتع بعمق ثقافي وروحي ملموس في العراق وسوريا ولبنان واليمن، أدارت من خلاله عمليات التفاعل الثقافي والسياسي وحتى الاقتصادي داخل هذه الدول، ومن ثم الأخذ بزمام المبادرة لتحقيق مصالحها الخاصة حتى ولو حساب سلامة هذه الدول ووحدة أراضيها.

مفهوم «محور المقاومة»

بما أن محور المقاومة الإسلامية يمثل تجسيدا لمقاربة إيران الأيديولوجية لمنطقة الشرق الأوسط، فإن مفهومه ينصرف، وفق التصورات الإيرانية، على كل نظام أو منظمة أو جماعة أو طائفة تقف إلى جنب إيران في رفض الهيمنة الأمريكية على المنطقة، ومقاومة الاحتلال الإسرائيل للأراضي العربية. مثل «حزب الله» اللبناني، وبعض فصائل المقاومة الإسلامية بفلسطين، وأنصار الله باليمن، ومليشيات الحشد الشعبي بالعراق، والطائفة الشيعية بسوريا والبحرين.

وعلى الرغم من أن مصطلح محور المقاومة الإسلامية يبدو كما لو كان ابتكارا إيرانيا؛ نظرا لكثرة استخدام أجهزة الدعاية الإيرانية له، إلا أن الباحث الإيراني «محمدى سيرت» ذكر أن جريدة «الزحف الأخضر» الليبية هي أول من استخدمه، في 1/29/ 2002، ضمن مقال لها بعنوان: «محور الشر أم محور المقاومة»؛ ردا منها على الكلمة التي كان قد ألقاها الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، وصف فيها كل من إيران والعراق وكوريا الشمالية بأنها «محور الشر» بالعالم؛ وأن أنظمتها تدعم الإرهاب وتسعى لامتلاك أسلحة دمار شامل. منوهة أيضا إلى أن «القاسم المشترك الوحيد الذي يجمع بين هذه الدول الثلاث هو مجابهة الهيمنة الأمريكية».

ومن ساعتها، أصبح مصطلح «محور المقاومة» واحدا من أوسع المصطلحات استخداما في الأدبيات السياسية الإيرانية، فاستخدمته مثلا جريدة «جمهوري إسلامي» أثناء معالجتها لانتفاضة الشيعة بجنوب العراق (مارس 1991م)، كما استخدمه «علي أكبر ولايتي» مستشار المرشد الأعلى للثورة الإسلامية ووزير الخارجية الأسبق، في أغسطس 2010م، ضمن تصريح قال فيه: إن سلسلة (محور) المقاومة ضد إسرائيل تضم إيران وسوريا وحزب الله والحكومة العراقية الجديدة وحماس، وتتمتع فيها سوريا بدور ذهبي. واستخدمه أيضا «سعيد جليلي» الأمين العام السابق للمجلس الأعلى للأمن القومي، خلال محادثاته مع الرئيس بشار الأسد، في أغسطس 2012م، عندما قال: «إن ما يحدث في سوريا ليس شأنا داخليا، بل هو معركة بين محور المقاومة وأعدائه بالمنطقة والعالم؛ ولذلك لن تتسامح إيران تجاه أي تحرك مناوئ لهذا المحور».

«محور المقاومة».. ركيزة العمق الإيراني (2)

■■ نجحت إيران، كما بيّنت الحلقة الأولى من هذه الدراسة، في خلق عمق استراتيجي لها بمنطقة الشرق الأوسط؛ أعادت فيه «انتاج الهوية» في كل من العراق ولبنان واليمن، على أسس أيديولوجية؛ ونجحت في اختلاق هويات طائفية تسعى من تلقاء ذاتها نحو تعزيز نفوذ إيران الجيوسياسي بالمنطقة، تحت ما يُسمى «محور المقاومة الإسلامية».

وأرجع الباحث الإيراني «چوبين جودرزي» تاريخ نشأة «محور المقاومة» إلى عام 1979م، استنادا إلى أن سوريا كانت هي الركيزة الأولى التي قام عليها هذا المحور؛ نظرا أنها كانت الدولة العربية الأولى التي تعترف بالثورة الإسلامية، وأول من أقامت معها تحالفا استراتيجيا، عدته إيران نموذجًا للتوازن الصعب مع نظام صدام حسين وإسرائيل والولايات المتحدة، في ظل التغير المستمر في نمط التفاعلات الإقليمية. وأن التحالف بين دمشق وطهران لا يزال قائما حتى اليوم؛ لأنهما اجتمعا على وحدة الأهداف والمصالح المشتركة، وتطابق الرؤى السياسية إلى حد كبير حيال معظم القضايا الإقليمية.

غير أن الحقائق العلمية تشير إلى أن نشأة «محور المقاومة» وتطوره تعود إلى محصلة عدد من العوامل، منها: البيئة الإقليمية المواتية التي كانت تشهد ضعفا في بنيتها التقليدية، وتغيرا في ميزان القوى الدولي، والمساعي الأمريكية الرامية للانفراد بالهيمنة على المنطقة، فضلا عما كانت تشهده مصالح القوى الفاعلة من تقاطع واضح. وهذا ما سوف نتناوله على النحو التالي:

أولا: البيئة المواتية:

كانت الخصائص والسمات العامة التي سادت البيئة الإقليمية من بين أهم العوامل التي أسهمت في نشأة محور المقاومة وتطوره؛ نظرا لما تميزت به من ضعف في بنيتها التقليدية، وتغير في ميزان القوى. أما فيما يتعلق بضعف البنية الإقليمية؛ فإنه نجم بدوره عن:

- استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، وتحول القضية الفلسطينية منطلقا لزيادة الانقسام بين الدول العربية.

- بقاء القضية الكردية دون حل، حتى أصبحت نموذجا للانقسام العرقي الذي طالما يمثل تهديدا لسلامة الأراضي الإيرانية والتركية والعراقية والسورية. خاصة أن الأكراد لا يزالون مصرين على نيل الحكم الذاتي، أو قيام كردستان الكبرى.

- قيام الثورة الإسلامية بإيران، بوصفها نموذجا مؤثرا في تصاعد الاتجاهات الراديكالية المتطرفة بمنطقة الشرق الأوسط.

- تزايد أطماع إيران الإقليمية، وعدوانية توجهاتها في ظل إيمان نظامها الحالي بعالمية الثورة ووجوب تصديرها إلى الخارج.

- تدهور العلاقات البينية العربية من ناحية، وتدهور علاقات معظم الدول العربية مع إيران، من ناحية أخرى.

- تقادم البنية العربية وعدم قدرتها على تلبية تطلعات شعوبها، وتقلص قدرة العواصم الثلاث الأكثر ديناميكية في العالم العربي (القاهرة ودمشق وبغداد) على القيام بدورها المعتاد على المستوى الجيوستراتيجي؛ بعد أن حطم الصراع الطائفي بغداد، منذ انهيار نظام صدام حسين، 2003م، وبعد أن دمرت الحرب الداخلة دمشق، منذ

استمرار الاحتلال الإسرائيلي وزيادة الانقسام العربي حول مستقبل القضية الفلسطينية.. أحد عوامل ظهور «محور المقاومة»

2011م، وانكفأت القاهرة على شواغلها الداخلية منذ ذلك التاريخ أيضا.

وفي حين كان ميزان القوى الإقليمي يميل لصالح إيران وتركيا وإسرائيل، ومعهم السعودية والإمارات وقطر؛ التي أخذت تشهد نموا اقتصاديا كبيرا، أفضي بدوره إلى أن يتحولوا إلى فاعلين إقليميين مؤثرين. إذ أخذت إيران، على الرغم من المشاكل الهائلة التي تواجهها داخليا وخارجيا، تستحوذ على دور إقليمي مؤثر، حتى باتت قراراتها تؤثر على الأحداث في جميع أنحاء المنطقة، وتلعب غالبا دور الخصم الرئيسي للولايات المتحدة، والقوة المهددة لأمن إسرائيل، التي ظلت هي الأخرى مستقرة وتشهد نمواً اقتصادياً هائلاً، وتسعى لبناء تحالفات متنامية مع الدول العربية. أما تركيا، فقد اتجهت أكثر، في عهد الرئيس رجب طيب أردوغان، نحو الشرق الأوسط والانخراط في قضاياه والتورط في صراعاته.

أما على الجانب الآخر، فقد ظلت السعودية الدولة العربية الوحيدة التي تنتمي، وفق الإرادة الأمريكية، إلى أعلى مستوى في البنية الجيوسياسية في المنطقة العربية. بينما أصبحت أبو ظبي تقوم بالدور الذي كانت تلعبه قطر من قبل، فلديها نفوذ كبير وتسيطر على الكثير من الموانئ في القرن الإفريقي، كما أنها تسيطر على مناطق باليمن أكثر من أي بلد آخر، ولديها علاقة عدائية مع إيران. أما قطر، فقد أخذت تلعب دوراً دبلوماسياً كبيرا مقارنة بوزنها الفعلي بالمنطقة، ولا تزال مستمرة في لعب هذا الدور، ولكن بدرجة أقل. فلا تزال تتوسط في العديد من البلدان، بما في ذلك غزة وتركيا والولايات المتحدة، وأماكن أخرى في المنطقة.

وكان من الطبيعي أن يكون لدى كل من هذه القوى الإقليمية الفاعلة أهدافا استراتيجية خاصة، فمثلا تسعى إيران والمملكة العربية السعودية لتحقيق التوازن بينهما. في حين تسعى إسرائيل إلى مواجهة طموحات إيران النووية ونفوذها الإقليمي، وتشارك في إدارة الصراع بدلاً من حل النزاع مع الفلسطينيين، وهنا تشترك مع المملكة العربية السعودية في هدف استراتيجي واحد، يتمثل في احتواء إيران. بينما أدى الانشقاق في مجلس التعاون الخليجي إلى تقوية الروابط بين تركيا وقطر من ناحية، وتوثيق علاقات قطر مع إيران، من ناحية أخرى.

ثانيا: الاستحواذ الأمريكي على المنطقة:

مثلت مساعي الولايات المتحدة للانفراد بقطبية العالم؛ عقب انهيار الاتحاد السوفييتي، وفرض نظام عالمي جديد، بيئة مواتية لنشأة محور المقاومة. خاصة أنها عمدت إلى دفع منطقة الشرق الأوسط نحو عدم الاستقرار والتفكك، ضمن مساعيها لإعادة هيكلته على النحو الذي يمنع ظهور منافس جديد قد يمثل تهديدا لمصالحها، على غرار التهديد الذي كان يشكله الاتحاد السوفييتي لها في السابق. ويراعي في ذات الوقت مصالح حلفائها، للحد الذي يضمن عدم قيام أي حليف منهم بعرقلة انفرادها بقيادة العالم. فضلا عن امتلاك آلية لردع المنافسين المحتملين للاضطلاع بدور إقليمي أو عالمي غير مسيطر عليه.

وفي هذا الإطار، شهدت المنطقة ثلاثة متغيرات حادة شكلت في حد ذاتها عوامل دفع لتنامي دور محور المقاومة، بوصفه أداة تعزيز فعالة لتعميق نفوذ إيران الإقليمي، هي:

- غزو القوات الأمريكية والبريطانية للعراق، في مارس 2003م؛ بزعم امتلاكه أسلحة دمار شامل، وقيامها بتدمير بنية النظام العراقي بالكامل، وتفكيك مؤسساته العسكرية والأمنية والقضائية، وتقويض مؤسساته الإنتاجية. كما فرضت عملية سياسية كان من شأنها إنهاء روابط الوطنية والانتماء لدى أبناء العراق الواحد، واستبدلته بانتماء طائفي ذي امتداد خارجي؛ وبالتالي تحويل العراق إلى مجرد تابع إقليمي، تديره طبقة سياسية مدعومة من الاحتلال الأمريكي وموالية للنظام الإيراني. وهو الأمر الذي مثل بدوره بيئة خصبة لظهور الميليشيات المتناحرة، ومن ثم طرح فكرة تقسيم العراق إلى ثلاث دول في إطار خطة أمريكية لإعادة ترسيم خريطة للشرق الأوسط.

- «الفوضى الخلاقة» أو ما يعرف بأحداث الربيع العربي، عام2011م، التي أدت إلى انتشار فوضى جيوسياسية هائلة بالمنطقة، بدأت بالإطاحة بالرئيسين التونسي زين العابدين بن علي، يوم 11 يناير، والمصري حسني مبارك، يوم 11 فبراير، ثم تدمير النظام الليبي وقتل الرئيس القذافي 20 أكتوبر، وتفكيك قواته المسلحة ونهب مخازن أسلحته وتوزيعها على جميع أنحاء المنطقة، وانتهت بتحويل ليبيا إلى مركز لاستقطاب الجماعات الإرهابية على غرار ما حدث للعراق.

وقد عزز هذا التدهور الإقليمي السريع الرغبة لدى جميع القوى الفاعلة في استمرار الصراع الدموي باليمن، على الرغم من تنازل الرئيس علي عبد لله صالح عن الحكم، يوم 27 فبراير 2012م، فضلا عن مواصلة هذه القوى دعم عمليات تدمير النظام السوري.

وبعبارة موجزة، أدى غزو الولايات المتحدة للعراق ووقوع أحداث الربيع العربي، فضلا عن تخلي واشنطن عن قيادة عملية السلام بالشرق الأوسط إلى بروز نمطين من التحولات النوعية، تمثل الأول في الانهيار الأوسع للنظام الإقليمي وتكثيف عمليات العنف والإرهاب في المنطقة. بينما تمثل الثاني في فرض القوى الفاعلة الأخرى نفسها على عملية صنع القرار الإقليمي. ومع تلاقي هذين الديناميكيين تبلور الهيكل الجيوسياسي الجديد لمنطقة الشرق الأوسط، الذي نشأ فيه محور المقاومة وتطور.

ثالثا: تقاطع مصالح القوى الفاعلة:

مثلّت الأزمة السورية نقطه التصادم الأعنف بين مصالح القوى الفاعلة بالمنطقة؛ فمن ناحية تمثل سوريا الحليف الاستراتيجي الوحيد بالنسبة لروسيا، التي تسعى إلى كسب النفوذ على حساب الولايات المتحدة، وكذلك بالنسبة لإيران. وبالتالي فإن انهيار النظام السوري كان يعني انحسار نفوذهما من المنطقة بالتبعية، كما سبق الإشارة.

ومن ناحية أخرى، كان تحالف سوريا مع كل من روسيا وإيران في حد ذاته من بين العوامل التي كانت

«المحور» نشأ بسبب تقلص قدرة «القاهرة ودمشق وبغداد» على القيام بدوها المعتاد على المستوى الجيوستراتيجي

تمثل أحد أسباب إصرار واشنطن وحلفائها على رحيل الرئيس بشار الأسد، منذ نشوب الاحتجاجات ضده، في مارس 2011م، حتى أن وزيرة الخارجية الأمريكية «هيلاري كلينتون» صرحت يوم 6 ديسمبر 2011م، بقولها إن هدف بلادها هو القضاء على نفوذ إيران في سوريا، وأنها إذا تمكنت من ذلك، فسيكون إنجازًا كبيرًا. ومن ثم فإن الولايات المتحدة قدمت ـ بمساعدة تركيا وبعض دول الخليج ـ الكثير من المساعدات المالية والأسلحة والتدريب للفصائل والجماعات السلفية والإخوان المسلمين و«داعش وجبهة النصرة والقاعدة» وغيرها بالعراق وسوريا.

وسوريا كان يمثل في حد ذاته مصلحة مهمة لإسرائيل وتركيا، وبالتالي كان من الطبيعي أن تعملان على تدمير النظام السوري، وإلحاق كارثة بها، كالتي لحقت بالعراق. لأن انهيار سوريا سيوفر لإسرائيل فرصة تاريخية لكسر شوكة حزب الله اللبناني، ومن ثم ضم مرتفعات الجولان المحتلة. كما سيوفر لتركيا ـ في ذات الوقت ـ فرصة لاقتطاع أجزاء من شمال سوريا.

ومن جهة ثانية، وقفت المصالح الروسية وراء خوض موسكو المعارك ضد المعارضة السورية، وتقديم الدعم الكامل لنظام بشار الأسد، خاصة لاستدراج الإرهابيين من منطقة الشيشان، انطلاقا من أنهم إذا لم يتم قتلهم بسوريا، فسيتعين عليها قتالهم داخل روسيا. كذلك الأمر، بالنسبة للمصالح الإيرانية التي دفعت طهران لتقديم الدعم الكامل للأسد، على الرغم مما تعانيه من وطأة العقوبات الاقتصادية؛ نظرا لأن سورية تمثل لها ركنا جيوسياسيا مهما بمحور المقاومة ضد إسرائيل، كما تمثل جسرا بريا يربط بين العراق ولبنان، حيث «حزب الله» الركن الثاني بهذا المحور. فضلا عن أن طهران تعتقد أيضا أنها إذا لم تقاتل الجماعات الإرهابية في العراق وسوريا، فسيتعين عليها قتالهم داخل حدودها.

الجدير بالذكر، أن تدمير جيوش العراق وليبيا أن الأزمة السورية كانت تمثل فرصة مواتية

أعضاء «محور المقاومة».. أذرع وعملاء وخونة (3)

■■ اقتضت مقاربة إيران الأيديولوجية لخلق عمق استراتيجي لها في منطقة الشرق الأوسط، أن تقوم بتشكيل قوس جغرافي مترابط، بطول 1235,8 كم، يمتد من منفذ «مهران» الحدودي مع العراق إلى بيروت على ساحل البحر المتوسط. وبإجمالي مساحة تبلغ 1,551,852كم،ويضم العراق (437,072كم) وسوريا (185,180كم) وجنوب لبنان (929,6كم) على أن يضم هذا العمق الاستراتيجي، إلى جانب سوريا وحزب الله، تحالف طائفي مسلح قادر على خوض الصراع العابر للحدود تحقيقا للمصالح المشتركة وتوفيرا للحماية المتبادلة. وهو الأمر الذي نجحت إيران في تنفيذه فعليا.

ولذلك، عندما تعرض نظام الرئيس الأسد، أهم ركائز محور المقاومة، لخطر الإطاحة به؛ تدخل «الحرس الثوري وحزب الله» بثقلهما العسكري، لمساندة الجيش السوري، حتى تمكن من هزيمة قوات المعارضة وتنظيم داعش في معظم النقاط المهمة. وهو الأمر عزز موقف إيران الإقليمي أمام الولايات المتحدة وإسرائيل.

ولم يكن العراق بعيدا عن الصراع الدائر بسوريا؛ إذ كان بمثابة جسر إيراني لنقل مقاتلي فيلق القدس والمليشيات العراقية والأفغانية والباكستانية إلى الأراضي السورية لمساندة الجيش السوري من ناحية. ولمواجهة التهديد الاستراتيجي الذي كان يمثله قيام داعش كدولة سلفية جهادية متاخمة لحدودها مع العراق، منذ عام 2014م، من ناحية أخرى. فضلا عن أن إيران قدمت أوجه الدعم والمساندة المختلفة لجماعة «أنصار الله» الحوثية، وهو الأمر الذي مكنها من تعزيز مواقعها بالمناطق المتاخمة للحدود السعودية، بل واتخاذها منطلقا لشن هجمات برية وصاروخية على الأراضي والمنشآت الحيوية السعودية.

حزب الله اللبناني

أشهر من ارتبط، من حيث التأسيس والمبادئ والأهداف، بالاستراتيجية الإيرانية في بُعدها العربي، وتحديداً في منطقتي شرق البحر المتوسط والخليج العربي. وقد اكتسب حزب الله شرعيته المحلية وشعبيته الإقليمية عن طريق مقاومة الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982م، لا سيما بعد تأسيسه عام 1985م، إذ جاء في بيان التأسيس أنه «ملتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة تتجسد في ولاية الفقيه، وتتجسد في آية الله الموسوي الخميني مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة».

ويرى المتابعون لشؤون هذا الحزب أن ارتباطه بإيران انطلق من مفردات طائفية، إذ إن كل عناصره هم من اللبنانيين الشيعة، الذين يتخذون «الولي الفقيه» في إيران مرجعا دينيا وسياسيا لهم. فضلا عن أنه يتلقى دعما ماديا كاملا منها، إضافة إلى التبرعات وأموال الخمس التي يتلقاها من أنصاره. وقد وظف حزب الله قدراته بوصفة تنظيم «مقاومة» في ترسيخ نفوذ المكون الشيعي بالدولة اللبنانية، وتعزيز نفوذ إيران الإقليمي. وهو ما تنتهجه المليشيات الأخرى التي تم استنساخها بالعراق واليمن وسوريا،

الحشد الشعبي

عبارة عن غطاء قانوني عام تنضوي تحته الفصائل الشيعية المسلحة التي زاد عددها مؤخرا عن 67 فصيلا. تأسس، في يونيو 2014م، لمواجهة تنظيم داعش، واكتسبت أهمية متزايدة بفضل الانتصارات التي حققها عليه، حتى بات جزء من المنظومة الأمنية العراقية، بعد هيكلته وتحويله

«الحرس الثوري وحزب الله» تدخلا بكل ثقلهما العسكري عندما تعرّض نظام بشار الأسد لخطر الإطاحة به

إلى تشكيل عسكري يضاهي جهاز مكافحة الإرهاب في يوليو 2015م، ويتمتع الهيكل التنظيمي للحشد بالمرونة واللامركزية معا، من حيث أن لكل فصيل فيه قيادته العسكرية ومرجعيته الدينية الخاصة، إذ يقلد ثلثيه المرجعيات الإيرانية وعلى رأسها آية الله خامنئي، بينما يقلد ثلثه الآخر المرجعيات العراقية، وعلى رأسهم آية الله السيستاني.

كما أن لكل فصيل أيضا منطقة عمله ونطاق عملياته، والتي يتمركز معظمها ببغداد وسامراء وكربلاء وصلاح الدين والأنبار وديالى والنخيب. بينما تقاتل بقيتها في سوريا دعما لنظام بشار الأسد، مثل جيش المختار، ولواء أبو فضل العباس، وحركة حزب الله النجباء، وعصائب أهل الحق، وفيلق بدر، وفيلق الوعد الصادق، ولواء أسد الله الغالب ويدير الحشد الشعبي مجلس شورى المقاومة الإسلامية، برئاسة جمال جعفر الإبراهيم المكنى حركيا بـ أبو مهدي المهندس (اغتيل برفقة قاسم سليماني، يناير 2020م) وهادي العامري. ويتألف هذا المجلس من بعض قادة الفصائل المهمة، ويختص بإصدار قرارات التدريب والتسليح غيرها دون الرجوع إلى رئيس الوزراء العراقي. وعلى الرغم من أن الحشد يتكون من 67 فصيلاً مسلحاً إلا أن 80٪ من جهده العسكري يقع على عاتق سرايا السلام، وفيلق بدر، وكتائب حزب الله العراقي، وعصائب أهل الحق

حزب الله العراق

إحدى الميليشيات التي تعد تجسيدا مثاليا للعمالة المخلصة لإيران، وأكثرها مرونة في الحركة لإلحاق أقصى الضرر بالخصم. تأسس عام 2003م، باسم أنصار الله الأوفياء، على يد حيدر الغراوي بالتعاون مع سرايا السلام التابعة لمقتدى الصدر، وكانت عناصره تتلقى تدريباتها القتالية في مركز كميت التابع لها. (1) وبعد ثلاث سنوات تقريبا، أصبح حزب الله جزءا من حركة «المقاومة الإسلامية، على غرار حزب الله اللبناني ومقربا منه ومشاركا له في نفس المبادئ والأيديولوجية، من حيث الدفاع عن ولاية الفقيه والإطاعة المطلقة للمرشد الأعلى للثورة آية الله خامنئي، ورفض احتلال القوات الأجنبية للبلاد. ومن ثم أعلن حزب الله العراقي، عام 2007م، عن أن الهدف من وجوده هو محاربة الاحتلال الأمريكي حتى إخراجه من العراق، وإقامة جمهورية إسلامية بالعراق، على غرار نظيرتها بإيران.

وقد انضوت تحت لواء هذا الحزب خمس كتائب شيعية أخرى، تشكلت عقب الاحتلال الأمريكي، هي: جيش المختار، ولواء أبي الفضل العباس، وكتائب كربلاء، وكتائب السجاد، وكتائب زيد بن علي، التي أدرجتها واشنطن على القائمة السوداء للإرهاب (2009م) بعد أن نفذت عمليات ضد قواتها. كما انخرط الحزب في قتال تنظيم داعش، ودخلت قواته سورية للدفاع عن نظام بشار الأسد. وتتمتع عناصره بمستوى من الكفاءة الأمنية والقدرة القتالية

جيش المختار

إحدى الميليشيات التابعة لحزب الله العراق، بزعامة واثق البطاط الذي كان مقيما بإيران منذ عام 1993م، بوصفه عضو بفيلق بدر، وكم كان مجاهرا بالولاء المطلق لآية الله خامنئي، لدرجة أنه أكد مراراً إنه سيقاتل إلى جانب إيران إذا ما دخلت في حرب مع بلده العراق؛ على اعتبار أن خامنئي «معصوم من الخطأ» وشدد أيضا على أن تنظيمه امتداد لحزب الله اللبناني، ويرفع رايات صفراء مثله لكن بشعارات مختلفة. وقد عمل جيش المختار، منذ تأسيسه في يونيو 2010م، على قتل أعضاء حزب البعث وأبناء أهل السنة لأنهم من «النواصب والوهابيين». وقد تبنى، في نوفمبر 2013م، قصفاً صاروخياً استهدف مخافر حدودية سعودية انطلاقاً من صحراء السماوة جنوب غربي العراق، ردا على ما زعمه البطاط بتدخلها في شؤون العراق.

لواء أبو الفضل العباس

كتيبة طائفية مسلحة مكونة من عدة فصائل، أسسها المرجع العراقي قاسم الطائي عام 2013م، لحماية الأضرحة المقدسة لدى الشيعة بسوريا، خاصة ضريح السيدة زينب الكبرى، ولمساعدة قوات النظام السوري والدفاع عن. ويضم مقاتلين عراقيين ولبنانيين، ينتمي أغلبهم إلى جماعة اليوم الموعود بقيادة مقتدى الصدر، وجماعة عصائب أهل الحق بقيادة الشيخ «قيس الخزعلي» المحسوب على جيش المهدي إلى جانب جماعات شيعية أخرى سبق أن قاتلت تنظيم داعش في العراق. وكانت طهران قد أعلنت عن تشكيل هذه الكتيبة في سوريا للعمل تحت قيادة حزب الله اللبناني الموحدة. ويقودها اليوم «حسين أبو عجيب» وهو شيعي عراقي يقيم بسوريا وله علاقات وثيقة بفيلق القدس التابع للحرس الثوري

كتيبة النجباء

إحدى الميليشيات التابعة لحزب الله، مثلها مثل كتيبة أبا الفضل العباس، هي فصيل فرعي من جماعة عصائب أهل الحق، بقيادة أكرم الكعبي نائب مقتدى الصدر. تأسست بهدف الدفاع عن المقدسات الشيعية في سوريا والعراق، وتدين بالولاء التام لمرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي، والجنرال قاسم سليماني قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري. كما ترتبط بعلاقة قوية مع حزب الله اللبناني، خاصة بعد أن تلقى عدد من قادتها تدريباتهم الميدانية، على يد خبراء هذا الحزب. ويشارك مقاتلو النجباء في الصراع الدائر بسوريا، إذ يقاتل لواء عمار بن ياسر في حلب، ولواء الحسن المجتبى في دمشق.

جيش المهدي

الجناح المسلح للتيار الصدري بقيادة مقتدى الصدر، تأسس عام 2003م، لقتال القوات الأميركية بالعراق. ولكنه تلقى منها هزيمة عسكرية، أُجبر بعدها على تسليم أسلحته إلى لجنة عراقية أميركية مشتركة، وتجميد عملياته، وطرد عناصره المتورطة في عمليات التطهير الطائفي بحق أهل السنة. ولكنه ظهر مرة أخرى، عام 2014م، باسم «سرايا السلام» باستعراض عسكري في بغداد، حمل خلاله مقاتلوها الأسلحة الثقيلة والصواريخ التي تلقوها من طهران؛ بزعم حماية المزارات الشيعية.

العراق كان بمثابة جسر لنقل مقاتلي «فيلق القدس» والميليشيات العراقية والأفغانية والباكستانية إلى سوريا

ثم تغير اسمها مرة أخرى إلى «لواء اليوم الموعود» بذات الأهداف السابقة، فضلا عن المشاركة في قتال داعش بسامراء وديالى وآمرلي

عصائب أهل الحق

ميليشيا مسلحة تتبنى نهج حزب الله اللبناني، من حيث الإيمان بولاية الفقيه وتقليد آية الله علي خامنئي، تكونت عام 2004م، بوصفها فصيل تابع لجيش المهدي تحت اسم المجاميع الخاصة، ثم انشقت عنه، بزعامة قيس الخزعلي عام 2007م، وأصبحت تعمل تحت رعاية اللواء قاسم سليماني. وقد اتهمها مقتضى الصدر بـ «ارتكاب جرائم طائفية» ومن ثم طالب «إيران بوقف التمويل عنها». خاصة أنها عُرفت بأنها من أشد الفصائل الشيعية تشددا والتي تلقت عناصرها تدريبات عسكرية خاصة بإيران. وارتكبت، فيما بين عامي 2006 و2007م مجازر بشعة بحق أهل السنة بمدينة بعقوبة مركز ديالى، ومناطق حزام بغداد، وإعدام المئات منهم دون محاكمة والتمثيل بجثثهم، فضلا عن تدمير مساجدهم. وقد انتقلت، عام 2014م، إلى سوريا للقتال لحساب الحرس الثوري.

فيلق بدر

الجناح العسكري لمنظمة «بدر» أحد أشرس الميليشيات الطائفية العراقية، وأحد أشهر الميليشيات التي ترتبط بعلاقات وثيقة مع الحرس الثوري الإيراني. ويقوده حالياً هادي العامري، صديق قاسم سليماني، وعضو البرلمان السابق ووزير النقل في الحكومة العراقية، والشخصية الرئيسية في الحشد الشعبي العراقي ضد داعش. تكون فيلق بدر من مجموعة من السجناء واللاجئين العراقيين في إيران، عام 1981م، بواسطة المجلس الأعلى الإسلامي العراقي، الذي كان يسمى في ذلك الوقت «المجلس الأعلى للثورة الإسلامية» بزعامة «محمد باقر الحكيم» وشارك في شن هجمات عسكرية من الأراضي الإيرانية ضد نظام الجيش العراقي. كما تولى معظم مقاتليه، بعد سقوط نظام صدام حسين، مناصب قيادية بالأجهزة الأمنية وبوزارة الدفاع وجهاز الاستخبارات، وكان ذلك يمثل فرصة لأن يقوم فيلق بدر بقتل آلاف السُنة من قادة الجيش العراقي السابق، ولا سيما ضباط القوات الجوية والطيارين، وكذلك عدد كبير من أعضاء حزب البعث

فيلق حُماة الحرم

هو مسمى لمنتخب قتالي، يضم 15 مجموعة مسلحة من شيعة إيران وأفغانستان وباكستان والعراق وسوريا ولبنان، كان يقاتل بسوريا والعراق لحساب الحرس الثوري، الذي نجح في تجنيد وتدريب وتوجيه عناصره بقاعدة الإمام الحسين، التي إنشاؤها خصيصا لقيادة وتوجيه العمليات الإيرانية في سوريا والعراق، ثم نقلهم إلى معسكرات حزب الله اللبناني، لتوزيعهم على نقاط الاشتباك في سوريا، تحت إشراف العميد بحري حرس حسين همداني (قتل بسوريا يوم 9 أكتوبر 2015م) ويمكن، استنادا إلى مجمل تصريحات بعض قيادات الحرس، أن نشير إلى وجود أكثر 200 ألف عنصر من عناصر فيلق حماة الحرم بسوريا، منهم 70 ألفا تم تدريبهم بمعسكرات فيلق منطقة «ملاير» التابع للحرس، ويتوزعون على 42 مجموعة و128 كتيبة، إلى جانب 130 ألفًا من عناصر الباسيج. ويتألف فيلق حماة الحرم من فرقتين رئيسيتين تضمان المقاتلين الأفغان والباكستانيين، تحت ما يسمى بـ لواء الفاطميون، ولواء الزينبيون.

لواء الفاطميون

تنظيم طائفي مسلح أسسه أحد أقدم العملاء الأفغان للحرس الثوري يدعى علي رضا توسلي، والمكنى بـ «أبو حميد»؛ عقب تدمير جبهة النصرة ضريح المرجع الشيعي «حجر بن عدي» وتهديده بتكرار هذا العمل مع المزارات الشيعية الأخرى. وقد بدأ تأسيس هذا الفيلق بمناداة بعض المؤسسات الرسمية وغير الرسمية لاستقبال أبناء الجالية الأفغانية المقيمة تحديدا في مدينتي مشهد وقم للقتال بسوريا دفاعا عن أضرحة أهل البيت؛ فتشكل ما يُسمى فاطميون داخل معسكرات الحرس الثوري من الأعضاء السابقين في جيش محمد الأفغاني الذي قاتل القوات السوفيتية في الماضي، ولواء أبو ذر، وانضم إليه الأفغان الذين كانوا يقيمون بسوريا. أما لواء زينبيون، فهو مجموعة مدربة من المقاتلين الباكستانيين الشيعة، الذين تم استقطابهم من المدن الباكستانية ذات الكثافة الشيعية، مثل پاراچنار ولاهور وكراتشي وغيرها من المدن التي سبق أن قامت إيران بضخ استثمارات كبيرة فيها من أجل تشكيل الوعي الجمعي بها وجذب المجنّدين منها، وكذلك من بين المقيمين بإيران، وممن تم استدراجهم عبر جامعة المصطفى الدولية والمجمع العالمي لأهل البيت. وقد تولى الحرس الثوري تدريب هذه العناصر وتسليحها داخل معسكرات التدريب التابعة له بمدينة قم، وبمعرفة حزب الله الباكستاني بإسلام آباد، ومن ثم ضمها للمليشيات المقاتلة بسوريا.

حركة الصابرين نصراً لفلسطين

كونها الحرس الثوري داخل قطاع غزة على غرار حركة أنصار الله باليمن وحزب الله بلبنان. وقد عبر هشام سالم زعيم الحركة عن تماهي أهداف حركته مع مبادئ المذهب الشيعي، عندما شبه ما يحدث بفلسطين بما حدث في كربلاء، وزعم أن تحرير فلسطين يحتاج إلى «حسين» جديد لا يعرف للتضحية حدودا. وتتخذ حركة الصابرين شعاراً قريب الشبه بشعار حزب الله اللبناني والذي يُعد بدوره قريب الشبه بشعار الحرس الثوري الإيراني. وتعتبر هذه الحركة نفسها حركة مقاومة فلسطينية، تهدف إلي طرد المحتل الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية.

حركة أنصار الله الحوثية

هي حركة طائفية يمنية مسلحة، تأسست عام 1992م، بمدينة صعدة باسم «حركة الشباب المؤمن» وتُعرف باسم «الحوثيين» نسبة إلى مؤسسها حسين بدر الدين الحوثي الذي قتل على يد القوات اليمنية عام 2004م، وقد حاولت هذه الحركة السيطرة على الدولة اليمنية بالكامل عام 2015م، وتدير منذ ذلك الوقت صراعا مسلحا مع المملكة العربية السعودية. وتدل إدارة أنصار الله للاشتباكات مع القوات السعودية، ونوعية الأسلحة التي تستخدمها، والشعارات السياسية التي ترفعها مثل: «الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود» على دعم إيران اللامحدود لها.

وجهان لـ «محور» واحد..
السياسي الثوري والطائفي القبيح (4)

■■ يتسم «محور المقاومة» الذي أنشأته إيران في بعض الشرق الأوسط، بمجموعة من الخصائص المهمة، التي أسهمت في تحقيق مكاسب إقليمية عديدة لصالح طهران في المنطقة العربية، وفي الشرق الأوسط بشكل عام، بحيث نجحت إيران في الخلط – ببراعة - بين الوجه السياسي الظاهر «المقاوم» للهيمنة الأمريكية، والوجه الطائفي البغيض، الخفي، لهذا «المحور».

ومن أهم هذه الخصائص:

النهج شبه العسكري: هو نهج عملياتي فعال، أثبت قدرة إيران على إجراء عمليات عسكرية أكبر من المعتاد، وبأقل تكلفة ممكنة، ولا يكون له أثر ملموس يمكن أن يصبح دليلا على تورطها فيها. ولقد مكن هذا النهج إيران من تحقيق فعالية تشغيلية كبيرة بشأن استراتيجياتها لبناء العمق الاستراتيجي لها في المنطقة.

المرونة في الحركة: إذ تتصف فصائل محور المقاومة بالمرونة؛ من حيث قدرتها على تقليل أو زيادة وجودها، حسب مقتضيات الحاجة. الأمر الذي اكتسب محور المقاومة الاستدامة والقدرة على بناء القوة وتعزيز الولاء لصالح إيران لدى الشركاء. وفي هذا الإطار قام فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني بتدريب الفصائل الفاعلة المحلية، وتقديم المشورة لها وإعادة تأهيلها.

القدرة على الانتشار عبر الحدود: إذ تعلمت إيران والميليشيات التابعة لها كيفية تنفيذ ومواصلة العمليات العسكرية في دول أخرى. فقد نفذ حزب الله، على سبيل المثال، مهام استشارية في اليمن لصالح الحوثيين، وفي العراق مع قوات الحشد الشعبي، وأجرى عملية برية طويلة الأمد في سوريا. كما قاد فيلق القدس وحزب الله والميليشيات الشيعية القادمة من العراق وسوريا وأفغانستان وباكستان عمليات عسكرية لصالح النظام السوري.

القدرة على التشغيل البيني: تمتلك إيران حاليًا مجموعة متنوعة من المليشيات ذات المهارات القتالية والخبرات العسكرية في تنفيذ العمليات المشتركة على جبهة واحدة، أو جبهات متعددة في آن واحد. ومن ثم أثبتت، على سبيل المثال، قدرات قتالية فائقة أثناء العمليات القتالية في حلب بسوريا، وفي تكريت بالعراق، وعمليات تطهير الجبال والصحراء الواقعة بغرب وشرق سوريا على التوالي، فضلا عن شن هجمات خارجية على السعودية من داخل اليمن.

إيران.. جملة من المكاسب

حصدت إيران جملة من المكاسب من وراء محور المقاومة، بوصفه التجسيد الحقيقي للعمق الاستراتيجي التي خلقته بمنطقة الشرق الأوسط. وذلك كما نوضحه على النحو التالي:

الأول: أوجدت إيران لنفسها فرصا جيوسياسية على المستوى الإقليمي اتسمت بالمرونة والديناميكية، أسهمت بدورها في تنويع خياراتها السياسية، فضلا عن زيادة قدرتها على المناورة والحصول على تنازلات لتعزيز نفوذها الإقليمي، نظرا لما يلي:

طهران حصدت جملة مكاسب من وراء «محور المقاومة» بوصفه تجسيدا لعمقها الاستراتيجي في الشرق الأوسط

1 - عززت إيران استراتيجيتها الدفاعية؛ للحد الذي تقلصت معه مخاطر شن هجوم عسكري تقليدي مباشر على أراضيها.

2 - زادت من وزنها النسبي بالمنطقة، وعززت قدرتها على التأثير الاستراتيجي، من خلال إدارة المليشيات والتنظيمات الموالية.

3 - أصبحت إيران أقرب إلى توفير طرق برية لتوطيد نفوذها الإقليمي، وتعزيز قدرتها على نقل القوات والأسلحة إلى حلفائها.

4 - رفعت مستوى وعي الأقليات الشيعية بالمنطقة بحقوقها وبات بعضها شريكا أيديولوجيا لها وبعضها الآخر حليفا سياسيا.

5 - حوّلت جماعات «ما دون الدولة» إلى قوة مساندة لاستمرار نفوذها الإقليمي، كما استخدمتها وسيلة للترويج للتشيع.

6 - حولت هيمنتها الأيديولوجية على ركائزها الإقليمية إلى عملية سياسية ومؤثرة، تؤهلها للعب دور وسيط مستقبلي مؤثر في الأزمات الإقليمية الكبرى؛ الأمر الذي يكسبها هيبة سياسية.

7 - طورت مفهوم المقاومة من مجرد محور إلى تحالف إقليمي داعم لمركزها التفاوضي حيال ملفها النووي والصاروخي.

8 - فتحت أسواقا جديدة لمنتجاتها، بما يعزز اقتصادها الوطني، ويزيد من قدرتها على الالتفاف على العقوبات.

الثاني: كونت إيران تحالفا يحقق الأمن الجماعي المتبادل بينها وبين حلفائها، ولديه القدرة على ردع المناوئين لها استنادا إلى القدرة على الحركة العابرة للحدود. وهذا ما يعد أحد أهم مكاسبها. فقد كان من الطبيعي، في ظل ديناميات العلاقة بين إيران ومكونات محور المقاومة من حيث الدور والخطط والمهام، والمكاسب الإقليمية، أن يرتقي مفهوم هذا المحور إلى مرحلة التحالف، من حيث التوازن بين تهديدات الأعداء (إسرائيل والولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية) وبين متطلبات الأمن الجماعي والدفاعي المتبادل، ومن حيث الإدراك الكامل للتهديد الخارجي المشترك والوحدة الأيديولوجية، وذلك نظرا للعوامل التالي:

1 - عززت إيران قدراتها على فرض طوق إقليمي طائفي حول ثروات دول الخليج وابتزازها في هذا الإطار.

2 - حولت جماعة أنصار الله باليمن من مجرد جماعة محلية إلى قوة تتحدى السعودية، وتستنزف قواها، وتحطم هيبتها الإقليمية.

3 - جعلت الحشد الشعبي بالعراق رهنا لإرادتها، إلى الحد الذي يمكنها استخدامه في زعزعة استقرار دول الخليج، وقتما تشاء.

4 - جعلت من تحالفها مع سوريا إحدى التحديات الفعالة للدبلوماسية الأمريكية في الشرق الأوسط.

5 - طورت قوة حزب الله اللبناني ليتحول من مجرد قوة محلية، إلى ركيزة إقليمية من ركائز محور المقاومة.

6 - عززت قدراتها العسكرية، عبر تطوير ديناميكية محور المقاومة من الدفاع إلى الهجوم، للحد الذي يهدد الأمن القومي العربي.

الثالث: طورت إيران دوافعها من مرحلة الدفاع عن حلفائها وشركائها الإقليميين، إلى مرحلة الردع والهجوم على مناوئيها. كما جعلت القوى الفاعلة تتحسب من نشوب حرب إقليمية، أو على أقل تقدير التحسب من الانتقام، حال تعرضها أو تعرض أي من حلفائها الأساسيين لعمل عسكري. نظرا لما يلي:

1 - ضمنت إيران لنفسها، من خلال ارتباط الشركاء والتزامهم الأيديولوجي تجاهها، ركائز عسكرية في كل مناطق المقاومة.

2 - أكسب الصراع حلفائها شرعية سياسية وعسكرية وتفكيرًا إقليميًا جديدًا، خاصة بعد تفوقهم على خصومهم.

3 - أفشلت التحالف الإقليمي المعادي لها بقيادة السعودية، بالتزامن مع تأزم العلاقات القطرية والتركية مع دول الخليج ومصر.

الرابع: خلقت إيران مسار ولاء لدى الأقلية الشيعية بأفغانستان وباكستان وربطتهم بنفوذها ومعاركها بالعراق وسوريا واليمن. بما يعني أنها نجحت في الربط الجيوسياسي بين الأقلية الشيعية الأفغانية «فاطميون» والباكستانية «زينبيون» وبين نفوذها الإقليمي. كما أنه بإمكانها استخدام مقاتلي فاطميون في تعزيز المكون الشيعي داخل الدولة الأفغانية، وتشكيل مستقبلها وفق مصالحها الخاصة. كذلك يمكنها تحويل مقاتلي زينبيون إلى أداة لتنفيذ أهدافها في باكستان، أو للمساومة مع الهند إذا نقلتهم إلى إقليم كشمير.

إن الفهم الدقيق للتحدي الإقليمي الذي فرضته إيران من خلال محور المقاومة، وتطور استراتيجيته من الدفاع إلى الهجوم، يفسر لنا قوة مواقفها الإقليمية والدولية، استنادا إلى مكاسبها العسكرية والأمنية في العراق وسوريا واليمن.

كما يشير أيضا إلى أنها أتمت المرحلة الرئيسية الأولى من بناء العمق الاستراتيجي بمنطقة الشرق الأوسط، وكانت الأكثر عدوانية وتهديدا للاستقرار الإقليمي.

ولعلنا ندرك مدى هذا التحدي، إذا علمنا أن الولاء الأيديولوجي لها بالعراق يستهدف في جوهره تقويض سيادة هذه الدولة العربية، وخلق ثغرات فيه تمهد لها سبل الانقضاض على مفاصله. خاصة أنها لا تزال تعرقل مساعيه نحو تحقيق الاستقرار والتنمية، من خلال بعض المليشيات، التي نجحت في تحويل بعضها إلى قوة قادرة على فرض نفوذها بالدولة العراقية، ودمجت بعضها الآخر بمؤسساته الرسمية. مثل مليشيات الحشد الشعبي التي تهيمن عليها شخصيات موالية للحرس الثوري، وتتلقى أوامرها من قيادتها التنظيمية وليست الحكومية، وكثيرا ما خالفت الأوامر الحكومية بزعم أنها تتعارض ومصالح طهران؛ الأمر أدى إلى تآكل سلطة الدولة العراقية لحساب إيران والقوى الموالية لها.

وبعبارة أخرى، أصبحت إيران تتحكم في العراق، منذ عام 2006م من خلال الحشد الشعبي بما له من ثقل سياسي وعسكري وأمني وإعلامي واقتصادي، وارتباط أهم فصائله بها، وهذا ما يجعل منه جيشاً رديفاً للنظام الإيراني، الذي يمكن أن استخدامه أداة للتدخل في شؤون الدول العربية الأخرى وزعزعة استقرارها. كما أن سيطرة الفصائل المسلحة، مثل سرايا السلام، وكتائب حزب الله، وعصائب أهل الحق، وفيلق بدر على مناطق معينة ببغداد وبعض المحافظات ذات المكون الشيعي، يزيد من فرضية تهديد استقرار العراق، إذا دبت الخلافات بينها. بدليل إن هذه الفصائل سبق وخاضت صدامات مسلحة فيما بينها بجنوبي العراق.

ومن ناحية أخرى، أسهمت إيران، بالتنسيق مع روسيا، في إحباط جميع محاولات الإطاحة بنظام الحكم السوري؛ بوصفه الشريان الجيوستراتيجي الرئيسي لإيران في الشرق الأوسط، وبالتالي بقي الرئيس بشار الأسد في الحكم، واضطرت القوى الفاعلة للاعتراف، ضمنيًا أو رسميًا، بالوضع القائم بدمشق، وهذا ما يعد في حد ذاته انتصاراً لإيران وتحالف محور المقاومة.

أما فيما يخص الحرب الجيوسياسية التي تؤججها إيران باليمن، والتي تؤثر على أمن منطقة الشرق الأوسط، فقد أفشلت إيران محاولات السعودية لإضعاف مليشيات أنصار الله الحوثية والفضائل التابعة لها. واستدرجتها لخوض حرب استنزاف تركت تداعيات سلبية على أوضاعها الداخلية والخارجية، كما دمرت صورتها الذهنية المحافظة أمام الشعب اليمني. كما نجحت في رفع القدرات الحوثية على إدارة المعارك والتعامل مع المواقف القتالية الصعبة والمعقدة، ودفعهم لتطبيق معادلات الردع باستخدام الطائرات المسيرة والصواريخ الباليستية وصواريخ كروز ضد المواقع العسكرية، وضرب منشآت أرامكو في بقيق وخريس بشرق السعودية، واستهدفت مطارات الرياض وجدة والطائف وخميس مشيط وجيزان ونجران وأبها بصواريخ باليستية.

محور المقاومة.. «تحديات البقاء» (5)

العقوبات الأمريكية أفضت إلى أزمة اقتصادية خطيرة.. وقلّصت قدرة إيران على مواصلة دعم الميليشيات التابعة لها

■■ يواجه ما يُسمى «محور المقاومة» الذي كونّته إيران على مدار العقود الماضية في المنطقة، عددا من «تحديات البقاء» على رأسها العقوبات الأمريكية المفروضة على إيران، والتي أفضت إلى أزمة اقتصادية خطيرة، وقلّصت من قدرة إيران على مواصلة تقديم الدعم المالي واللوجيستي للمليشيات الشيعية التابعة لها.

وندكر من تلك التحديات، التي ربما تؤثر على مستقبل وجود «محور المقاومة» واستمرار تماسكه خلال المرحلة المقبلة، ما يلي:

الأول: ضعف التماسك مع بعض شركاء محور المقاومة:

إذ يعاني محور المقاومة من مسببات تفكك أوصاله وانهياره؛ فمنها ما يتعلق بتباعد المصالح السياسية بين إيران وبعض شركائها بهذا المحور مما أدى مثلا إلى ابتعاد مقتدى الصدر، وابتعاد حركة حماس النسبي عنها. ومنها ما يعود لضعف المنطلقات الأيديولوجية واختلاف المنظور السياسي للحكم بين السيستاني وخامنئي، الأمر الذي من شأنه أن يحدث انقساما بين الميليشيات العراقية. إلى جانب تراجع مستويات التعاون بين طهران وموسكو في سوريا؛ وتيقن طهران من أن الروس غالبًا ما يتخلوا عن حلفائهم بفعل تفاهماتهم مع الولايات المتحدة وحلفائها. ناهيك عن تعرض بعض المصالح الإيرانية للتراجع في سوريا بفعل تحسن علاقات دمشق مع محيطها العربية، في ظل احتاجها لإعادة الإعمار.

الولايات المتحدة تسعى بالتعاون مع حلفائها إلى تبني استراتيجية إقليمية واسعة لاحتواء وإضعاف «محور المقاومة»

الثاني: تعرّض إيران لعقوبات صارمة:

من المعروف أن إيران تتعرض لعقوبات أمريكية وأوربية وأممية مختلفة، أفضت إلى أزمة اقتصادية خطيرة سوف تقلص من قدرتها على مواصلة دعم معظم المليشيات التابعة لها أو دفع مخصصاتها المالية. خاصة أن العقوبات الأمريكية، التي فرضها الرئيس السابق ترامب، عقب انسحاب واشنطن من الاتفاق النووي (8 مايو عام 2018م) قد ألحقت الضرر الأكبر بالاقتصاد الإيراني أكثر من أي إجراء آخر؛ سيما أنها شملت المؤسسات المنوطة بإدارة محور المقاومة، مثل الحرس الثوري الإيراني بوصفه منظمة إرهابية (8 أبريل 2019م) وهيئات الصناعات البحرية والجوية والطيران (15 يناير 2021م) والبنك المركزي الإيراني (20 سبتمبر 2019م) ومؤسسة المستضعفين (18 نوفمبر 2020م) ومؤسسة الإمام الرضا، ولجنة تنفيذ أوامر الإمام (13 يناير 2021م) فضلا عن عدد من الشركات والمؤسسات ذات النشاط المتنوع، بوصفها كيانات داعمة وممولة للإرهاب والتنظيمات الإرهابية في المنطقة.

إلى جانب أن إدراج مجموعة العمل المالي (FATF) إيران ضمن القائمة السوداء، في فبراير 2020، قد قلص أيضا من قدرتها على الارتباط بشبكة البنوك الرئيسية في الصين وروسيا، فضلا عن البنوك الصغيرة، الأمر الذي أدى إلى حرمانها من الحصول على الخدمات البنكية، ورفع تكلفة نقل الدولار من وإلى الاقتصاد الإيراني، وهو ما سوف يساعد إلى جانب العوامل الأخرى إضعاف محور المقاومة.

الثالث: رفض الأطراف المناوئة لنفوذ إيران الإقليمي

يمثل رفض الأطراف المناوئة لاستمرار النفوذ الإيراني على هذا النحو المخل بتوازن القوى في المنطقة، تحديا ملموسا أيضا؛ خاصة أن الولايات المتحدة تقف على رأسها، إذ تسعى بالتعاون مع حلفائها إلى تبني استراتيجية إقليمية واسعة لاحتواء وإضعاف محور المقاومة في كل ركيزة من ركائزه بل وتدمير كل شركائه. ولكن مع حرصها على ضرورة وجود بدائل خشية أن يؤدي تقليص دعم إيران لحلفائها في سوريا والعراق واليمن مثلا، إلى خلق فرص جديدة لظهور داعش أو القاعدة مرة أخرى، أو أن يستغل تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية تراجع الحوثيين في اليمن لتوسيع دائرة نفوذه.

وتعد إسرائيل من أقوى المناوئين للنفوذ الإيراني وتنتهج لنفسها طريقة لتقويض هذا النفوذ باستهداف عمق الأمن القومي الإيراني، من خلال عمليات نوعية لتصفية علماء برنامجها النووي والصاروخي، وتدمير جانب مهم من منشآتها بمفاعل نطنز النووي، ومجمع بارچين العسكري، فضلا عن الهجمات السيبرانية التي عطلت عددا كبيرا من أجهزة الطرد المركزي، والسطو على أخطر وثائق البرنامج النووي والصاروخي. إلى جانب استمرار غاراتها الجوية التي تستهدف عناصر الحرس الثوري والمليشيات التابعة له بضربات عسكرية مؤثرة على الأراضي السورية.

أما دول الخليج العربية، فقد عبرت بقوة عن رفضها أيضا إخلال إيران بالتوازن الإقليمي بطرق مختلفة؛ فقامت بتسليح الجماعات السلفية في العراق وسوريا، وسعت لإنشاء محور سني بمساعدة تركيا لمجابهة محور المقاومة. كما سعت للإطاحة بنظام الأسد ودفع حماس بعيد عن إيران. حتى وقر في ذهن النظام في طهران أن الأمر قد وصل إلى درجة العمل على إنشاء محور سري يقوم على اتفاق غير مكتوب مع الكيان الصهيوني لمواجهة طهران، ومدها بمعلومات استخباراتية تتعلق بتنفيذ عملياتها العسكرية في اليمن.

ولكن التوافق العربي- الإسرائيلي على خطورة الدور الإيراني بالمنطقة، والاتفاق على التصدي له، كان هو الملفت أيضا، والذي جسدته «الاتفاقات الإبراهيمية» التي أبرمت خلال الربع الأخير من 2020م، وتم بموجبها تطبيع علاقات بعض الدولة العربية، وعلى رأسها الإمارات والبحرين، مع إسرائيل. ومنحها صفة التواجد الرسمي على الشاطئ المقابل لإيران بمياه الخليج العربي، فيما يمكن أن يدخل ضمن عملية الإعداد لتطويق النفوذ الإيراني. وفي هذا الإطار قامت الولايات المتحدة بضم إسرائيل إلى قيادة المنطقة الوسطى سينتكوم المسئولة عن الشرق الأوسط وآسيا الوسطي، بتاريخ 15 يناير 2021م، وذلك ضمن الامتداد الطبيعي للاتفاقيات الإبراهيمية، التي شرعت الأبواب لقيام حلف أمني إسرائيلي - عربي مضاد لإيران.

أما فيما يخص تركيا، بوصفها المنافس القوي لإيران، فترى أن تمدد نفوذ إيران الإقليمي يهدد مصالحها وطموحاتها الإقليمية، وخاصة طموحها نحو إنشاء خطوط لنقل النفط والغاز الخليجي إلى أوروبا عبر أراضيها، وهو أمر يمكن أن يضر بالاقتصاد الروسي والإيراني. خاصة أنه يتضمن إنشاء خط اتصال بري مباشر مع دول الخليج عبر الأراضي العراقية، مما يعني توصيل أوروبا بدول الخليج مباشرة. فضلا عن مشروع لمد خطوط أنابيب لنقل المياه من تركيا إلى دول الخليج وإسرائيل، والتي كانت تخطط تركيا أن تمر عبر العراق أو سوريا ثم الأردن، ومنها إلى دول الخليج العربي وإسرائيل. ولكنه لاقى معارضة عراقية وسورية، لأنه يقلل من حصص المياه لهذه الدول من نهري دجلة والفرات.

وأخيرا، تدرك إيران أن روسيا تستهدف تعظيم المردود السياسي والعسكري والاقتصادي لتواجدها بالشرق الأوسط، مع تقليص الفرص قصيرة المدى للجهات الفاعلة المتنافسة. وأن سياستها تسمح بمزيد من حرية العمل إلى الحد الذي يمكنها فيه تضمين الجهات الفاعلة المتنافسة مثل المملكة العربية السعودية وإيران وإسرائيل في سلة دبلوماسية خاصة بها. ومن ثم تمكنت من التعاون عسكريًا مع إيران، وأبرمت اتفاقيات عسكرية مع السعودية، وتبادلت المعلومات الأمنية والاستخباراتية مع إسرائيل

وفي ظل هذه التحديات التي فرضتها القوى الفاعلة الرامية إلى تطويق نفوذ إيران الإقليمي، ودفع المجتمع الإيراني نحو دائرة محاسبة النظام سياسيا بفعل الأزمة الاقتصادية الناجمة عن العقوبات. من المحتمل أن تظل إيران على المدى القريب عرضة للعوامل التالية، حتى تتم تسوية جميع القضايا الخلافية بين إيران المجتمع الدولي والقوى الإقليمية، بما فيها قضية نفوذها الإقليمي:

- استمرار الضغوط عليها، بما يقلص قدرتها على مواصلة تقديم الدعم لمعظم المليشيات التابعة لها، أو دفع مخصصاتها المالية.

- تقويض المليشيات الموالية لإيران، وتكبيدها الخسائر المادية، والنيل من سمعتها بوصفها كيانات إرهابية.

- استمرار تردي سمعة المؤسسات الإيرانية على المستويات كافة، بوصفها موصومة بدعم وتمويل الجماعات الإرهابية بالمنطقة.

- تعميق مخاوفها الأمنية الناجمة عن زيادة وزن لتركيا وإسرائيل النسبي بمنطقة القوقاز، خصما من وزن إيران، وإكساب إسرائيل صفة التواجد الرسمي جنوبا على سواحل الخليج العربي؛ بموجب الاتفاقات الإبراهيمية، التي عززت مخاوفها من قيام ترتيبات أمنية إسرائيلي – خليجي مضادة لها، خاصة بعد ضم إسرائيل إلى قيادة المنطقة الوسطى الأمريكية «سينتكوم».

سياسة الخداع الاستراتيجي.. مفهوم «الاستضعاف» نموذجًا (1)

الدكتور سعيد الصباغ

أستاذ الدراسات الإيرانية المعاصرة بكلية الآداب جامعة عين شمس،

رئيس وحدة الدراسات الإيرانية بمركز بحوث الشرق الأوسط

■■ اعتمد نظام الملالي منذ قيام ثورة 1979 سياسة الخداع على نطاق واسع، في المجالات كافة، ومن ذلك مفهوم «الاستضعاف» الذي أجاد النظام استخدامه لأغراض سياسية استراتيجية، باعتباره واجهة إنسانية للنظام، وغلّفه بشحن معنوي يستهدف دغدغة مشاعر طبقة واسعة من الفقراء والمحرومين والمظلومين، سواء على مستوى الداخل في صورة ميليشيات «الحرس الثوري» والباسيج»، أو من خلال جماعات الشيعة «المستضعفين» التي تكوّنت بفعل آلة الدعاية الإيرانية في كل من لبنان والعراق واليمن.

وكان من قبيل الخداع، أن نصّب النظام الإيراني نفسه داعما وحيدا لجميع «مستضعفي العالم»، وحصر لنفسه الحق في تعريف من هو «المستضعف»، ومن هو «المستكبر» وفق رؤيته ومصالحه الخاصة، وذلك بما يبرر له التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وبالتالي تحويل طهران إلى مركز إنساني يحمل على عاتقه «حماية هؤلاء المستضعفين ونصرتهم».

ومن هذا المنطلق، تضافرت جهود مؤسسات إيران المعنية للعمل على تغيير الانتماءات المذهبية لدى شعوب العالم الإسلامي، بهدف تكوين «ظهير شعبي» واسع، مساند لمواقفها السياسية قوامه المستضعفين الذين تعاظمت لديهم مشاعر «المظلومية» التي تجسد بدورها أيقونة الاضطهاد الديني المغروسة في الوعي الجمعي الشيعي بشكل خاص؛ بوصفهم «مستضعفين» في مجتمعاتهم.

دغدغة مشاعر الفقراء

كان من بين المصطلحات التي شاع استخدامها في اللغة الفارسية، وألقت بها آلة الدعاية الإيرانية في الوعي الجمعي الإسلامي والعربي، كلمة «المستضعف»، وهي مفردة عربية الأصل، التي أصبحت تكتسب حقلاً دلالياً على المستوى السياسي ـ الاجتماعي، جعلها تنفرد، في هذا الإطار، بمفاهيم محددة لا ترقى إليها كلمات مماثلة لها في اللغة الفارسية، مثل كلمتي «فقير» و«بينوا».

إذ لم يُعد المستضعف في الأدبيات السياسية الإيرانية، مجرد مصطلح يعبر عن ذلك الفرد المسكين مهيض الجناح الذي يعاني الظلم ويكابد الحرمان المفروض عليه من المستكبرين، فحسب. بل أصبح يتمتع أيضا بخصائص دلالية محددة من حيث:

1 - أن المستضعف بات يتمتع بالوعي الثوري اللازم.

2 - وأنه ابن الثورة ونصيرها ووقودها، وظهيرها الشعبي

النظام أجاد استخدام مفهوم «الاستضعاف» لأغراض سياسية استراتيجية اعتمادًا على مبدأ خداع الجماهير

3 - أنه أصبح يمتلك الدافعية لمقاومة الظلم والاستكبار.

ومن ثم أصبح مصطلح مستضعف مفعماً بشحن معنوي يستهدف دغدغة مشاعر طبقة واسعة من الفقراء والمحرومين والمظلومين، التي تكونت في مجتمع ما قبل الثورة الإيرانية؛ نتيجة للخلل الناجم عن عمليات التحديث التي قادها محمد رضا شاه بهلوي (1941 ـ 1979م).

ولذلك عبر استخدام النخبة الإيرانية الموسع لهذا المصطلح عن مدى انحياز الثورة الإيرانية لهذه الطبقة، وإصرارها على الاحتفاظ للمستضعفين بمكانة خاصة في قلب المعادلة الاجتماعية الجديدة التي فرضتها في البلاد؛ تحقيقاً لما ورد بالآية الكريمة 26سورة من سورة الأنفال: (وَاذْكُروا إِذْ أَنْتُم قَليلٌ مُسْتضعفون فِي الأرض تَخافون أَنْ يَتَخَطَّفكُمُ النَّاس فَآوىٰكُم وأيّدكُمْ بِنَصْرِهِ وَرزَقكُم مِنَ الطَّيبَّاتِ لَعَلّكُم تَشْكُرُون)

كذلك استهدف قادة الثورة الإيرانية، من وراء استخدامهم هذا المصطلح، استقطاب هؤلاء المستضعفين أيضاً إلى صفوف الثورة وقت الأزمات والمراحل المصيرية، سواء أثناء الصراع على السلطة الذي رافق قيام الثورة الإيرانية، أو خلال الحرب مع العراق1980ـ 1988م، والأمر الذي أفضى إلى تكوين هياكل تنظيمية للمستضعفين تمثلت في «حزب الله» و«البسيج» و«الحرس الثوري» و«اللجان الثورية»... الخ التي تمكنت ـ حسب وصفهم ـ من القضاء على أزلام النظام الملكي «الطاغوتي» السابق بإيران، ونجحت في سحق معارضي تيار الفقهاء من «المنافقين» و«الملحدين» و«أعداء الثورة» الإسلامية. وخاضت بإخلاص معارك «الدفاع المقدس» التي «فُرضت» عليهم ضد النظام «البعثي الكافر» في العراق؛ بوصفه «عميلا لقوى الاستكبار العالمي».

وأقنعت الثورة الإسلامية في إيران مستضعفي الداخل بأنها منحازة إليهم، مُصرّة على الاحتفاظ لهم بمكانة خاصة بالدولة، ومن ثم نجحت في تحويلهم إلى ظهير شعبي لحماية «إسلامية» النظام و«جمهوريته» خلال المراحل المصيرية. وكلما نجح فيه هؤلاء المستضعفين في تحقيق مصالح الثورة الإسلامية وأهدافها، كلما تطورت مكانتهم الاجتماعية ووازدادت مكاسبهم السياسية، بطريقة بدت كما لو أن ثمة صفقة ناجحة عقدتها الثورة مع هؤلاء المستضعفين لتحقيق المصالح المتبادلة بينهما.

وقد تزامن ذلك، مع اعتماد طهران استراتيجية خلاقة لبناء نفوذ جيوشيعي داخل دوائر الاهتمام الإيرانية، استنادا إلى مبدأ «نُصرة المستضعفين» بوصفه واجهة إنسانية لنظام ولاية الفقيه، ومنطلقا لإيجاد قواسم وجدانية مشتركة مع جماعات الإسلام السياسي بالمنطقة العربية والإسلامية؛ تستهدف من ورائها إعادة ترتيب أولويات آحاد المسلمين على أمل تغيير انتمائهم المذهبي، أو على أقل تقدير اكتساب احترامهم، واحترام كل من استقر في وجدانه أنه مستضعف.

«تصدير» قيم الثورة

تجلت النصرة الإيرانية للمستضعفين في الأرض في الآليات والوسائل التي اعتمدت عليها طهران في «تصدير» قيم الثورة الإسلامية ونشر معتقداتها المذهبية بين المسلمين، وذلك من خلال:

1 - العمل المستمر على بناء صورة ذهنية مثالية لإيران لدى المستضعفين

2 - إعادة ترتيب أولويات المستضعفين واهتماماتهم، عبر تقديم تفسير تحريضي لواقعهم الاجتماعي والسياسي والديني.

3 - تكوين انطباعات لدى المستضعفين، يمكن أن يؤسسوا بها أنساق معرفية مشتركة مع إيران

4 - الترغيب الدائم للمستضعفين كي يغيروا انتمائهم الديني إلى المذهب الشيعي.

ولعلنا نؤكد على أن خطورة هذه «المظلومية» تتجلى في كونها تمثل إحدى أدوات إيران في ترسيخ تلقائية الانتقام من الـ«سلطة» الـ«مستكبرة» الظالمة وفي إباحة الخروج عليها. ومن هنا تخلقت فكرة تثوير المجتمعات السنية التي تقطنها أقلية شيعية، ومن ثم إثارة الفتنة الطائفية داخل الدول العربية والإسلامية، والتي تتحول تلقائيا إلى ورقة ضغط إيرانية على هذه الدول.

وانطلاقا من ذلك، نجحت إيران في نقل الأقليات الشيعية من صفوف المعارضة إلى سدة الحكم، بعد أن صاغت من المظلومية استراتيجية مذهبية لدفع الأقليات الشيعية في العالم نحو الظهور الاجتماعي والسياسي؛ بدعوى استعادة حقوقهم الدينية، ومواجهة أحفاد من ظلموهم. فضلا عن تحقيق المصالح عدد من السياسية لنظام ولاية الفقيه، نذكر منها:

1 - خلق مكونات معرفية ووجدانية وسلوكية واحدة لدى الشيعة، وربطهم عقيدياً وسياسيا بالولي الفقيه، بوصفه ولي أمر الإسلام والمسلمين؛ كي يكونوا بمثابة الظهير الشعبي لسياسة إيران الذي يمكن تحريكه حال تعرضها لخطر خارجي.

2 - بناء مجال حيوي مذهبي لحدود إيران الجغرافية، وذلك ضمن سلسلة من العناصر التي تعزز دور إيران ونفوذها داخل دوائر الاهتمام الخاصة بها.

3 - تعزيز عناصر القوة التي يرتكز عليها الأمن القومي الإيراني، عبر تكوين درع دفاعي مذهبي يحيط بالحدود الجغرافية للدولة.

4 - تبرير اللجوء لأعمال العنف، الذي يقوم على مخزون متراكم من الكراهية للآخر، تبريرا دينيا، من شأنه أن يغطي على سلوكيات إيران الخارجية القائمة على التوسع وتعزيز النفوذ.

وفي هذا السياق، اقترنت المظلومية بقيمة أخرى، هي قيمة المقاومة والاستشهاد. ومن ثم، فمن الطبيعي أن يوظف النظام الإيراني دماء الشهداء في تعزيز قوته الناعمة بوصفه نظاماً استشهاديا لا يهاب لقاء العدو. وبناء عليه نجحت في نشر ثقافة الاستشهاد بين الشيعة بوصفها أفضل استراتيجية لتعزيز المقاومة؛ انطلاقا من كونها موروثا شيعيا يتمثل ثورة الحسين واستشهاده. كما نجحت في رسم صورة ذهنية لها مفادها أنها «غير قابلة للردع» مع عتبة ألم عالية، وأن إسلامها الثوري لن يبقى حياً ما لم تحيا به جمهورية إيران الإسلامية. وبالتالي فإن الحفاظ على هذه الجمهورية ينطوي على قيمة دينية مطلقة لدى عموم الشيعة في العالم.

سياسة الخداع الاستراتيجيِ..
هل تحارب إيران «الاستكبار» حقًا؟ (2)

■■ عمدت أجهزة الدعاية الإيرانية إلى خداع الجماهير، في العالميّن العربي والإسلامي، بمفاهيم كثيرة من بينها مفهوم "محاربة الاستكبار"، الذي يعبّر عن محاولات إيران المستمرة لاستنفار طبقات "المستضعفين" داخلياً وخارجياً ضد المستكبرين في الأرض، وهو الأمر الذي أثبتت الوقائع الدامغة أنه كذب صريح، فقد ناصرت طهران - على سبيل المثال لا الحصر - نظام بشار الأسد ضد الشعب السوري الثائر والمستضعف في بلاده، ولم تتورع طهران عن قتل وتهجير مئات الآلاف من السوريين المغلوبين على أمرهم، ما يعني أن نظام الملالي يعاني من ازدواجية المعايير، وأنه لم يرفع مثل هذه الشعارات إلا لخداع الرأي العام المحلي والعربي فحسب.

و"المستكبر" مفردة عربية الأصل، أصبحت من المصطلحات التي شاع استخدامها في اللغة الفارسية منذ قيام الثورة الإيرانية عام 1979م، بعد أن اكتسبت حقلاً دلالياً سياسياً جعلها تنفرد، في هذا الإطار، بمفاهيم محددة لا تعادلها فيه أية مفردة مشابهة لها من قبيل: "ظالم" و"ستمگر". إذ بات المستكبر في الأدبيات السياسية الإيرانية يأتي في مقابل المستضعف. كما باتت تنسحب دلالته أيضاً على أي فرد، أو جهة، أو دولة تكون مسئولة بشكل أساسي عن حرمان المستضعفين من أدني حقوقهم الإنسانية. ومن ثم فإن المستكبر في اللغة الفارسية أصبح يتمتع بخصائص دلالية محددة، من حيث إنه:

1 - معارض للثورة الإيرانية
2 - عدو للمستضعفين
3 - فرض علاقة غير إنسانية مع المستضعف.
4 - مخادع وغير مؤمن بالمذهب الشيعي.

أما إذا كان هناك احتمال أن المستكبر مسلم، والمستضعف غير مسلم، فالتبعة تقع على المستكبر المسلم، وتزيد من جُرمه؛ لأنه كان سبباً في ألا يعرف هذا المستضعف شيئاً عن الإسلام (وفق المذهب الشيعي).

ولا ينحصر مفهوم "الاستكبار" في لغة الخطاب الإيراني على نظام الشاه، بل ينسحب أكثر على القوى الخارجية، التي ناصبت الثورة الإيرانية العداء، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، بوصفها زعيمة الاستكبار العالمي.

ومن ناحية أخرى، عبَّر استخدام مصطلح الاستكبار عن محاولات الثورة المستمرة لاستنفار طبقات المستضعفين داخلياً وخارجياً. كما جسد ارتكازها عليه في عملية الدعاية لنظام الجمهورية الإسلامية على المستوى الإقليمي بغرض التأثير على الشعوب الإسلامية واستقطابها في اتجاه يزيد الهوة بينها وبين أنظمة حكمها، خاصة التي تناصب الثورة العداء أيضاً.

الإمام

لفظ عربي الأصل، لم يكن يطلق في اللغة الفارسية إلا على الأئمة الاثني عشر في المذهب

«المستكبر» هو أي فرد أو جهة أو دولة تكون مسؤولة عن حرمان «المستضعفين» من أدنى حقوقهم الإنسانية

الشيعي الاثني عشري، المذهب الرسمي لجمهورية إيران الإسلامية، حتى عام 1979م، إذ أصبح يطلق أيضا على الخميني زعيم الثورة ومؤسس الجمهورية الإسلامية. أي أن الخميني هو أول مرجع ديني في تاريخ المذهب الشيعي يحظى بهذا اللقب دون غيره، على الرغم من أنه لم يكن الأعلم بينهم على الإطلاق. وهذا ما يُعد تطوراً غير مسبوق لهذا اللقب (المقدس) لدى الإمامية. من حيث إنه اكتسب دلالة جديدة استوجبتها المتغيرات السياسية والدينية المرافقة للثورة نفسها. إذ إن الخميني هو أول من فض حالة ازدواجية الولاء، التي كانت سائدة بالمجتمع الإيراني، بين سلطة المرجعية الدينية وسلطة القيادة السياسية، من خلال تطبيق نظرية ولاية الفقيه، بحكم دستور الجمهورية الإسلامية، محققاً بذلك ما يطلق عليه في الأدبيات السياسية الإيرانية (الحكومة الإلهية) التي يتولاها الفقيه العادل المطلع على الأمور السياسية المختلفة؛ تمهيداً لعودة الإمام الغائب، كي يقيم العدل في الأرض.

ومن ثم، فقد منح تطبيق نظرية ولاية الفقيه في الحكم الخميني مكانة بارزة في عالم السياسة؛ بوصفه زعيماً للثورة وقائدها الذي استطاع الإطاحة بأعتى عروش الاستبداد بالمنطقة عبر قيادته لثورة شعبية عارمة. فضلاً عن مكانته الدينية بوصفه مرجعاً دينياً مرموقاً قاد أضخم إحياء مذهبي في تاريخ إيران منذ قيام الدولة الصفوية عام 1500م.

أما لقب إمام، الذي خلعه الناس على الخميني بوصفه ولى الأمر نيابة عن الإمام الغائب، فلم يعن أنه معصوم مثل الاثني عشر إماما في المذهب الشيعي، ولكنه له مشروعية دينية مستمدة من انتسابه إليهم؛ بوصفه مرجعاً دينياً يصل نسبه إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب وشرعية سياسية بوصفه الفقيه الذي أقام نظام حكم (إلهيا).

وبالتالي، أصبح لقب إمام، في الأدبيات الإيرانية، مكتسبا لخصائص دلالية جديدة منها:

1 - أنه زعيم للمستضعفين في الأرض.

2 - أنه زعيم الثورة الإسلامية في إيران.

3 - أنه يتولى زمام المرجعية الدينية والمرجعية السياسية معاً.

4 - أنه نائب إمام الزمان (الولي الفقيه).

وهنا تجلت قدسية الصورة الذهنية التي رسختها أجهزة الدعاية الإيرانية في مخيلة المسلمين للخميني، لتجمع له بين وقار المنزلة الدينية وجلال الهيبة السياسية، بوصفه نائب إمام الزمان الولي الفقيه الذي ينصر المستضعفين ويقود جحافلهم لمقاومة المستكبرين.

المجمع العالمي لأهل البيت

منظمة أهلية إيرانية مقرها طهران، تأسست في مايو من عام 1995م، لرعاية واستقطاب الشيعة في العالم. ويعد أحد أهم المؤسسات الإيرانية المعنية بنشر المذهب الشيعي وترويج مفاهيم الثورة الإسلامية وقيمها ونظامها القائم منذ عام 1979م، خاصة أن الهدف من تأسيس هذا المجمع كان يكمن في محاولة إبعاد شبح العزلة المذهبية عن إيران، ثم إعادة التعريف بالمذهب الشيعي وأئمته الاثني عشر مرة أخرى على نحو يؤسس لنشر المذهب الشيعي بين المسلمين السنة في العالم من خلال حقلين مهمين: الإعلام والاتصال والثقافة.

وقد نجح المجمع في استقطاب عدد من الصحفيين المبتدئين المعجبين بالتجربة الإيرانية، كما نجح في بث عدد من القنوات الفضائية وطبع ونشر المؤلفات الشيعية خاصة كتب التراث، فضلاً عن تدشين وإقامة مئات المواقع الإليكترونية على شبكة المعلومات الدولية لهذا الغرض.

ويعمل المجمع العالمي لأهل البيت على إحياء الرابط المذهبي والسياسي بين الشيعة في العالم وبين نظام الجمهورية الإيرانية من خلال الاتصال بأتباع المذهب وأهل البيت في دول العالم بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والسياسية، فضلاً عن إغداق المعونات الاقتصادية السخية عليهم، لرفع مستواهم المعيشي وتعويضهم عن أية خسائر يتعرضون لها جراء موقفهم السياسي، فضلاً عن تقديم الفتاوى الشرعية والقانونية لدعمهم في اتخاذ أساليب مناسبة. ثم إقامة سبل تعاون اقتصادي بين هؤلاء الشيعة داخل مجتمعاتهم ونظام الجمهورية الإيرانية. وذلك بغرض تحويلهم إلى نموذج يحتذى بين أبناء مجتمعهم.

ويرأس المرشد علي خامنئي هذا المجمع منذ إنشائه، كما يتولى علي أكبر ولايتي منصب الأمين العام. ولعل اختيار ولايتي لإدارة هذا المجمع يؤكد على أن هذه المؤسسة تستهدف التحرك الخارجي بأسلوب هادئ ونشط يُسهل للحكومة نفى أي دعم رسمي منها لأي تجمع شيعي قد يثير مشكلة سياسية داخل المجتمع الذي يعيش بداخله، نظراً لأن نظام الجمهورية الإيرانية يصنف المجمع العالمي لأهل البيت ضمن المؤسسات الأهلية، التي يتم تمويلها من خلال التبرعات والهبات الخاصة من داخل إيران ومن أثرياء الشيعة في العالم، على الرغم أن رئيسها هو أعلى سلطة سياسية ودينية في إيران وتدعمها جميع المؤسسات الرسمية الإيرانية بطريقة غير مباشرة، لاسيما أجهزة الأمن والاستخبارات والحرس الثوري التي تُسهم في إدارة أنشطته بطريقة سرية. فضلا عن الدعم المعنوي الذي يحظى به هذا المجمع من علماء الحوزة العلمية وطلابها.

الإسلام الأمريكي

تعبير اصطلاحي تحريضي أطلقه الخميني، زعيم الثورة الإيرانية ومؤسس الجمهورية الإسلامية، ضد ما أسماه «إسلام الرفاهية والمظهرية» الذي يتصف به كل أهل الدعة والرفاهية، ويوصم به كل المسلمين ـ مسلمي مصر ـ الذين أبرموا تسوية منفردة مع إسرائيل ومعهم الانتهازيين والمستكبرين. وذلك في مقابل ما كان يسميه أيضا «الإسلام المحمدي الأصيل» الذي هو في نظره: إسلام المحرومين والمستضعفين والمظلومين (شيعة إيران).

وانطلاقاً من هذا المفهوم التحريضي الخاص للإسلام، دعا الخميني الشيعة إلى الظهور السياسي والاجتماعي في البلدان التي يعيشون بين أكنافها وتأييد مواقف إيران السياسية، حتى وإن تعارضت مع مصلحة أوطانهم، وإلى مكافحة النظم السياسية الظالمة المهيمنة على العالم، كما دعاهم إلى العمل على تحرير القدس الشريف.

وهنا يمكن القول إن هذا الاصطلاح، يعد في حد ذاته، اصطلاحاً فارقاً بين مفهوم الخميني للإسلام ذي الطابع المذهبي – الشيعي «الصافي المحمدي» وبين الإسلام ذي الطابع المذهبي– السني «الأمريكي» من ناحية. وبين الإسلام السياسي الثائر والإسلام المحافظ من ناحية أخرى.

«رئيسي ميتر»

ماذا تحقق بعد 100 يوم من تنصيب رئيس إيران؟

سحر عزوز

رئيسي أوفى بوعده الوحيد سعيًا إلى «لم الشمل الوطني».. لكن محصلّة المبادرة الرئاسية «صفر»!

■■ قبل نحو مئة يوم، تم تنصيب الرئيس الإيراني المحافظ إبراهيم رئيسي، فبدأ الرئيس الجديد عهدًا سياسيًا مختلفًا لنظام الملالي قد يؤدي به إلى نهايته المحتومة، حيث جنح النظام برمته نحو سياسة التشدد، في جميع الملفات، وانجرف النظام - بالتالي - إلى انغلاق غير مسبوق على الذات، كنوع من الرد الدفاعي على الأزمات المركبة التي تعيشها البلاد.

وخلال هذه الفترة، بذل «رئيسي» وعودًا كثيرة للرأي العام الإيراني، والدولي، بشأن عدد من الملفات، وسط تحديات أزمة اقتصادية، وتجاذبًا مع الغرب، بشأن العقوبات الأمريكية والمباحثات النووية. والسؤال هو: هل تحققت وعود رئيسي الكثيرة، أو بعض منها على الأقل؟

ونبدأ بالوعود القليلة التي تحققت بالفعل، حيث بدأ «رئيسي» مبكّرًا تنفيذَ واحدٍ من وعوده، عبر العمل على تحقيق الإجماع الوطني، واستثمار الانتخابات الرئاسية في إيران في الـ 18 من يونيو/ حزيران الماضي، لتهيئة الأرضية الداخلية تمهيدًا للبناء عليها لاحقًا، لتحقيق مشروعه في دفع البلاد إلى مزيد من العزلة عن جيرانها ومحيطها الإقليمي والدولي.

ورصد المراقبون السياسيون، أنه منذ الأسبوع الأول لحكمه، بدأ إبراهيم رئيسي اتصالاته بمعظم الشخصيات الفاعلة في الأحزاب السياسية، بما فيها أحزاب «التيار الإصلاحي» في مختلف تدرُّجاته، من أجل لم الشمل الوطني على هدف واحد هو «محاربة الاستكبار العالمي» ورأب الصدع السياسي الكبير في إيران، بعد انتخابات رئاسية تم تفصيلها على مقاس رئيسي.

وأعلن «رئيسي» أيضًا إنشاء موقع إلكتروني، يطلب من خلاله بتزويده بآراء المواطنين والنُّخَب السياسية، بشأن الأسماء الأفضل، والتي تراها مُلائمة لشغل المناصب الحكومية، ولاسيما المتعلقة بالمنظومة الاقتصادية. وأراد رئيسي بذلك أن يؤكّد موقفه الذي قال فيه إنه «فوق الميول والاتجاهات»، وإنه ليس مطالبًا بمَنح الأفضلية لجهات سياسية وعقائدية بعينها كانت تقف خلف الدعم الذي حصل عليه خلال الانتخابات الرئاسية.

وعلى الرغم من إيفاء رئيسي بهذا الوعد، فإن المحصلة كانت في نهاية المطاف أقرب إلى الصفر، فلم تستجب معظم القوى السياسية في البلاد لمبادرة «لم الشمل الوطني»، خصوصًا في ظل إدراك جميع هذه القوى لبديهية لا مراء فيها، وهي أن الرئيس مجرد دمية سياسية يحركها المرشد على خامنئي!

«مشروع» الرئيس الإيراني هو دفع البلاد إلى مزيد من العزلة عن جيرانها ومحيطها الإقليمي والدولي

انهيار تاريخي للعملة الإيرانية

أما في مجال الوعود الفضفاضة، فحدّث ولا حرج، حيث خرج رئيسي بعدة تصريحات غامضة، ولا معنى لها سياسيًا، من قبيل ما قاله في خطاب تلاه 3 أغسطس/آب 2021 في مجمع الهيئات المرتبطة بمكتب المرشد في وسط طهران، حيث أقيمت مراسم تنصيبه. وشدّد رئيسي في خطابه هذا على أن «تحسين الظروف الاقتصادية لبلاده لن يرتبط بإرادة الأجانب». وقال: «نسعى بالطبع إلى رفع العقوبات الجائرة، لكننا لن نربط ظروف حياة الأمة بإرادة الأجانب».

وشدد الرئيس الإيراني على أن «رسالة الشعب في الانتخابات الرئاسية هي التغيير والعدالة ومكافحة الفساد والفقر والتمييز، وتنفيذ السياسات المعلنة للنظام الإيراني، والاهتمام بالقيم السامية للثورة، وصون دماء الشهداء الأبرار ووصاياهم القيمة».

ورغم ذلك لم تتخذ حكومة رئيسي، بعد مئة يوم، أي تدابير جدية من شأنها الحد من الأزمة الاقتصادية التي ترزح تحتها جميع الشعوب الإيرانية، سعيًا إلى عدم ربط ظروف حياة الناس بـ «إرادة الأجانب». فلم يقدم الرئيس، ولا المرشد، حتى هذه اللحظة شيئًا لشعوبهم، باستثناء نظرية «الاقتصاد المقاوم» المعلنة منذ عدة سنوات، والتي لم أودت باقتصاد البلاد من سيء إلى أسوأ!

وتصاعدت حدة الأزمة الاقتصادية في إيران خلال المئة يوم الأولى من حكم رئيسي، فبعد نحو شهر من انتخابه، هوت العملة الإيرانية على نحو حاد أمام العملات الأجنبية، فيما دفع إلى صعود حاد لأسعار السلع.

وذكرت وسائل إعلام إيرانية، في حينه، أن قيمة الدولار بلغت 280 ألف ريال إيراني في السوق السوداء، فيما بلغت قيمة اليورو 320 ألفا و500 ريال، وقفز الجنيه الإسترليني مسجلا 37 ألفًا و500 ريال.

من جهة أخرى، أكد موقع «بورسان» الإيراني المتخصص في الشؤون الاقتصادية، في تقرير له صدر 28 أغسطس/آب 2021، أن التقلبات اليومية في سعر الدولار لن تتوقف عند هذا الحد. وأوضح الموقع أن «مشكلة ارتفاع الدولار وانهيار العملة الإيرانية أثر على باقي الأسواق مثل سوق أسعار السيارات والذهب». ونقل الموقع عن خبراء في الشؤون الاقتصادية القول إن «العملة الإيرانية ستشهد انهيارًا تاريخيًا». كما رأى التقرير أن «العجز الكبير في الميزانية وتأثيره على السياسات النقدية وسياسات الميزانية العمومية للبنك المركزي، وكذلك السياسات الاقتصادية المضللة، كلها عوامل تساهم في ارتفاع الدولار».

وفي تكذيب صريح لتصريح «رئيسي» المشار إليه، بشأن «إرادة الأجانب»، أكد التقرير أنه «لا يمكن تجاهل آثار العقوبات ولا يمكن حذفها من المعادلة الاقتصادية بأي شكل من الأشكال، فإن الوضع الحالي لاقتصاد البلاد مرتبط بالعقوبات الأمريكية»!

وفي هذا الصدد، يمتلك رئيسي رأيًا خاصًا غريبًا فيما يتعلق بمشكلة البطالة التي تعاني منها القوة العاملة الإيرانية، أوضحها في حواره مع القناة الأولى الإيرانية، قائلا: «إن السبب في مشكلة البطالة لا يعود لعدم وجود موارد مالية، بل يكمن في وجود العديد من المصانع والورش الانتاجية العاطلة أو العاملة بنصف طاقتها، ولا يتم الاستفادة سوى من 50% من طاقات البلاد»، مؤكدًا أن «الإمكانية متاحة» لتوفير مليون فرصة عمل سنويًا في البلاد، من خلال 10% في قطاع الزراعة، و30% في قطاع الصناعة والمناجم، و60% في الخدمات.

هذه الأرقام التي أعلن عنها الرئيس خلال الجملة الانتخابية، تبيّن بعد ذلك أنها مجرد دعاية سياسية لا أكثر، حيث لم يترجم رئيسي بعد 100 يوم من توليه مقاليد الحكم، أيًا منها في صورة برنامج عملي لتخفيف المشكلة، بل إن معدل البطالة في ارتفاع مضطرد يومًا بعد يوم خلال الآونة الأخيرة.

الفساد و«أسرار النظام»

في مناسبة أخرى، قال رئيسي: «إن أولوياتنا هي بناء نظام إداري سليم بعيدًا عن الفساد»، مؤكدًا أن «الظروف ستتغير لصالح الشعب الإيراني، وأن حكومته تتابع مكافحة الفساد بقوة قائلًا: ربما يتحمل الشعب الايراني الفقر والصعوبات المعيشية لكنه لا يقبل الفساد في الحكومة أبدًا. وليس هناك خط أحمر بالنسبة لي سواء في موظفي مكتب الرئاسة أو معاوني رئيس الجمهورية أو وزراء الحكومة».

ويرى المراقبون أنه خلال الفترة الماضية، لم تشهد البلاد أي ملاحقات للمسؤولين الفاسدين المعروفين بالأسماء في إيران، رغم وعود رئيسي من أجل «بناء نظام إداري سليم بعيدًا عن الفساد» بل إن العكس هو ما حدث، فقد تصاعدت حدة الفساد في البلاد. وقالت اللجنة القضائية بالبرلمان الإيراني، في 16 أكتوبر/تشرين الأول 2021، إنه تم التصويت سرا على منع الكشف عن ثروات المسؤولين باعتبارها من «أسرار النظام»!

وأضافت اللجنة، وفق بيان لها نشرته وسائل إعلام إيرانية، أنه «يجب عدم الكشف عن ممتلكات كبار المسؤولين بأي شكل من الأشكال؛ لأنها من أسرار النظام» فيما اعتبر خبراء أن ذلك «يُظهر عمق الفساد في البلاد».

وفي مجال الحقوق والحريات، صرح رئيسي: «أنا رجل قانون ومدافع عن حقوق الإنسان ولا يمكن لأحد الادعاء والتشكيك بدفاعي عن حقوق الإنسان، وأفتخر بأنني كنت مدعيًا عامًا في إيران، وأنني دافعت عن حقوق الشعب من خلال مسؤولياتي في القضاء».

وإذا اعتبرنا أن هذا ضمن وعود الرئيس الإيراني، بتوفير بيئة سياسية واجتماعية وقانونية ضامنة لحقوق الإنسان، فلا يمكن بأي حال تصديق الشق الثاني من التصريح، بأنه «دافع عن حقوق الشعب من خلال مسؤولياته في القضاء» فهذا كذب صريح!

أكاذيب رئاسية

على المستوى الصحي، وخلال مراسم الاحتفال ببداية العام الدراسي الجديد في المدارس الإيرانية، أعلن الرئيس الإيراني يوم 25 سبتمبر/أيلول 2021، عن أنه سيتم تطعيم 70% من المواطنين في البلاد ضد فيروس كورونا، خلال «الأيام المقبلة». وهو ما لم يحدث حتى لحظة كتابة هذه السطور!

وأكد رئيسي، خلال ترأسه اجتماع اللجنة الوطنية لمكافحة كورونا، على ضرورة الإسراع في

إنتاج اللقاحات المحلية الصنع المضادة لكورونا، مشيرًا إلى أن «استيراد اللقاحات يجب أن يتم فقط تحت إشراف وزارة الصحة». ومع ذلك، مازالت عمليات استيراد اللقاح تعاني من بطء شديد، بسبب التعقيدات والعقوبات المفروضة على البلاد.

وإثر تصريحات الرئيس، قالت سلطات الرعاية الاجتماعية في إيران إن أكثر من 51 ألف طفل فقدوا أحد الوالدين بسبب وباء كورونا. وأعلنت وزارة الصحة الإيرانية 12 نوفمبر/تشرين الثاني عن تسجيل 109 حالات وفاة بسبب كورونا خلال 24 ساعة. وأضافت الوزارة تم خلال الفترة المذكورة تسجيل نحو 7500 إصابة جديدة بالفيروس في البلاد. وبذلك يرتفع إجمالي الوفيات بسبب كورونا في إيران إلى 127 ألفًا و918 شخصًا، بينما ارتفع إجمالي الإصابات إلى 6 ملايين و27 ألفًا و269 شخصًا.

وفي السياق نفسه، ذكرت وزارة الصحة الإيرانية أن عملية «الحجز» في المستشفيات لمرضى كوفيد - 19 في معظم محافظات البلاد كانت مستقرة أو متراجعة، ولم تشهد سوى محافظة كرمان في الأيام السبعة الماضية زيادة في عمليات الحجز في المستشفيات مقارنة بالأسبوع الذي سبقه. فيما أعلن مسؤولو «منظمة النظام الطبي» الإيرانية أن الإحصائيات الحقيقية أكثر 3 إلى 4 أضعاف من الإحصاءات الرسمية، حيث سجلت البلاد إجمالي وفيات 127.809 وإجمالي إصابات 6.019.947، لتكون بذلك دولة جديدة تدخل قائمة «الدول العشر الأكثر تضررا بفيروس كورونا» وتحل محل كولومبيا في المرتبة العاشرة من حيث عدد الوفيات.

أما على المستوى الاجتماعي، فقد أكد رئيسي أن: «رسالة الشعب تكمن في ضرورة حل المشكلات والاجتماعية والثقافية للمجتمع»، داعيًا «الحكومة إلى تحقيق العدالة للشعب ووضع حد للروابط الإدارية الخاطئة والمحسوبية والمناهضة للقيم». وأشار إلى أن الوضع الاقتصادي للشعب غير مرضٍ بسبب عداوة الأعداء ومشاكل داخلية، مضيفًا: «المشاكل الاقتصادية والثقافية والبطالة والإسكان والقضايا التي يشكو الناس منها لابد من تغييرها».

وبعد شهرين فقط من هذه الوعود الرئاسية، حذر تقرير صحفي نشر في إيران من «ارتفاع مقلق» لحالات الانتحار في البلاد، جراء تفاقم الأزمات الداخلية والاقتصادية والاجتماعية، حتى وإن كان بعض أهالي الضحايا يميلون إلى التستر على الوقائع الصادمة.

وفي الثامن من نوفمبر/تشرين الثاني، نشرت صحيفة «اعتماد» الإيرانية الإصلاحية تقريرًا عن تفاقم حالات الانتحار في إيران، مستندة إلى دراسات وتقارير حكومية حصلت عليها، مذكرة إن نسبة المُقدمين على الانتحار تزداد بمعدل 4 بالمئة سنويًا. وأوردت أنه تم تسجيل أعلى رقم على الإطلاق في تاريخ إيران، فضلًا عن الحالات التي يتم حجبها من قِبل الأهالي لأسباب اجتماعية، خصوصًا في أوساط النساء.

التصعيد ضد السعودية

على المستوى الخارجي، وفي أول خطاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، 23 سبتمبر/أيلول 2021، قال رئيسي في كلمة عبر الفيديو مسجّلة مسبقًا، إن طهران «تأخذ بعين الاعتبار المحادثات المفيدة التي تكون نتيجتها النهائية رفع جميع العقوبات القمعية»، مؤكدًا أنه «لا مكان للأسلحة النووية في العقيدة الدفاعية الإيرانية».

ورغم ذلك، أعلنت طهران عن زيادة نسبة تخصيب اليورانيوم إلى 20%، في مخالفة صريحة لشروط «المحادثات المفيدة»، وضمن مساعي نظام الملالي إلى التصعيد في الملفات كافة، بما فيها الملف النووي، فضلًا عن ملف الصواريخ والتدخلات الإقليمية الإيرانية في عدة دول عربية وشرق أوسطية.

من جهة ثانية، اعتبر رئيسي أن قوة إيران «تخلق الأمن» في المنطقة، وقال إنه سيمد «يد الصداقة والأخوة» لدول الجوار. وأضاف: «قوتنا في المنطقة تخلق الأمن، وقدراتنا الإقليمية تدعم الاستقرار والسلام في مختلف الدول، ولن تستخدم إلا لمحاربة القوى المهيمنة».

وما هي إلا أيام على وعد رئيسي بـ «مد يد

أكد أن تحسين الظروف الاقتصادية لن يرتبط بـ «إرادة الأجانب».. فسقطت العملة الإيرانية تحت وطأة انهيار تاريخي

الصداقة والأخـوة» إلـى دول الـجوار، حتى بدأت جماعة «الحوثي» الانقلابية اليمنية تصعيدًا جديدًا ضد السعودية، وقصفت الجماعة مطار جازان، وعدد من المدن الأخرى بطائرات مسيرة وصواريخ باليستية. كما صعّد «الحوثيون» بالتزامن مع ذلـك هجماتهم العسكرية ضد مدينة مأرب اليمنية.

وأدان مجلس الأمن الدولي، 21 أكتوبر/تشرين الأول، هجمات جماعة الحوثي على السعودية، داعيًا إلى وقف فوري لتصعيد الجماعة العسكري فـي محافظة مـأرب شمال شرقي اليمن. ووفق بيان لمجلس الأمن حول اليمن فقد «ندد أعضاء مجلس الأمن بهجمات الحوثيين عبر الحدود ضد السعودية»، مضيفًا أن «الاعتداءات في خليج عدن والبحر الأحمر تشكل خطرًا كبيرًا على الأمن البحري للسفن». وشدد مجلس الأمن على ضرورة «وقـف التصعيد من قبل الجميع، بما في ذلك الوقف الفوري لتصعيد الحوثيين في مأرب»، منددًا «بتجنيد الأطفال واستخدامهم في الصراع».

إلى ذلك، أكد محمد آل جابر، سفير المملكة العربية السعودية في اليمن، على أن جماعة الحوثي هم «الرافض الوحيد» لجهود السلام ووقف إراقة الدم في اليمن. وقال «آل جابر» على صفحته الرسمية بموقع تويتر: «لقد أكدت أفعال الحوثيين الإجرامية للمجتمع الدولي والانساني أنهم الرافض الوحيد لجهود السلام ووقف إراقة الدماء، وتعمد قتل المدنيين واستهدافهم بالصواريخ والطائرات بدون طيار إيرانية الصنع، في مساجدهم ومنازلهم وحتى مخيماتهم التي لجأوا إليها هربًا من استبداد وبطش الميليشيا الحوثية».

■ المصادر:

1 - إبراهيم رئيسي: ما المنتظر من الرئيس الإيراني الجديد؟ موقع بي بي سي، 3 أغسطس/آب 2021.

2 - انهيار تاريخي للعملة الإيرانية.. 280 ألف ريال لكل دولار، موقع العين، 25 أغسطس/آب 2021.

3 - رئيسي من الأمم المتحدة: لا مكان للأسلحة النووية في العقيدة الدفاعية الإيرانية، موقع الميادين، 21 سبتمبر/أيلول 2021.

4 - الرئيس الإيراني المنتخب إبراهيم رئيسي يكشف عن خطط إيران المستقبلية، موقع روسيا اليوم، 21 يونيو/حزيران 2021.

5 - رئيسي يعلن تطعيم 70% من المواطنين ضد كورونا قريبًا، موقع الميادين، 25 سبتمبر/أيلول 2021.

6 - إيران تدخل قائمة أكثر الدول تضررًا في العالم بوباء كورونا، موقع أخبار اليوم، 12 نوفمبر/تشرين الثاني 2021.

7 - مجلس الأمن يدين هجمات الحوثيين على السعودية، موقع روسيا اليوم، 21 أكتوبر/تشرين الثاني 2021.

8 - أول خطاب لرئيس إيران الجديد إبراهيم رئيسي، موقع ناس، 3 أغسطس/آب 2021.

تمدد الإمبريالية الإيرانية إلى تونس:

الإسنادات والأدوات وما بعد الترسيخ

يكتسي المشروع الفارسي طابعًا إمبرياليًا توسعيًا، من خلال الدفع إلى الهيمنة على مزيد من البيئات العربية، وصولًا إلى حالة تبعيتها المطلقة للمرشد في طهران

د. عبد القادر نعناع*

■■ تتوالى التصريحات الإيرانية بسلمية سياستها الخارجية وعلاقاتها البينية مع الدول العربية، في تناقض واضح مع السلوك الخارجي الإيراني المتّسع باستمرار، مستنداً إلى جميع الأدوات المتاحة له، بدءاً من أدوات القوة الناعمة المرتكزة على ربط البيئة المستهدفة عبر جملة اتفاقيات تعاون مشترك في عديد من المجالات، وتوظيف للتاريخ وفق قراءات مجتزأة، وصولاً إلى إعادة تشكيل الحاضن الاجتماعي الثقافي-الديني للبيئة المستهدفة من خلال إعادة تمذهبه شيعياً.

لتنتقل إيران في مشروعها إلى مراحل متقدمة، عبر توظيف أدوات قوتها الصلبة، والتي بلغت أقصاها في العراق ولبنان واليمن، وكان أشدها إجراماً في سورية، عبر إسناد نظام الأسد بالسلاح والميليشيات، بل الإشراف والمشاركة المباشرة في العمليات العسكرية الموجهة ضد المجتمع السوري، بعد أن رسّخت ذاتها عبر الأدوات السابقة.

ويكتسي المشروع الفارسي طابعاً إمبريالياً توسعياً، من خلال الدفع إلى الهيمنة على مزيد من البيئات العربية، وصولاً إلى حالة تبعيتها المطلقة للمرشد في طهران. وتبقى دائماً عملية الاستهداف موجّهة تجاه بيئات عربية، ترى فيها مجال نفوذها الاستراتيجي-الإمبريالي (أو ما تعتبره إيران فراغاً استراتيجياً)، متوافقة مع المتغيرات القائمة في بيئة النظام الدولي، بما يسمح لها بالمناورة والمساومة والتعاون.

ونحاول في هذا الدراسة تسليط الضوء على المشروع الإيراني المتمدد باتجاه تونس، وإسناداته وأبعاده، وأدوات ترسيخه، باعتبار تونس بوابة إيران إلى شمال إفريقيا وغرب المتوسط.

هذه الدراسة، هي جهد سابق يعود لأعوام خلت. وبتكليف من مركز الخليج للدراسات الإيرانية، مشكوراً، وجدنا ضرورة مراجعتها وإعادة تحيينها، في إطار الاستمرار بملاحظة المشروع الإيراني ومراجعة مستويات تغلغله في البيئة العربية، وهو ما وجدناه على ذات الأسس التي كنا قد بنيناها في

المراحل الأولى للدراسة. لذا أضفننا على الدراسة بندين جديدين هما:

- ما بعد الترسيخ الإيراني في تونس.
- القضية الفلسطينية: مدخل إيراني في تونس.

كما أرفقنا في هوامش هذه الدراسة، بعض المراجع الحديثة، التي لم تكن موجود في النسخة الأولى من الدراسة، نجد أنها تقع في ذات المسار والمنهج، ومتممة لما سبق وأن قدمناه، ونخص هنا دراستين صادرتين عن بوابة الحركات الإسلامية، وأخرى عن Independent عربية، سيتم ذكرهما في الهوامش.

أولاً: في طبيعة المشروع الإمبريالي الإيراني:

يشكل التاريخ المجتزأ مادة مهمة لبناء الفكر التوسعي الفارسي، على اختلاف أشكال الأنظمة السياسية التي توالت على فارس، إذ ادّعت كافة تلك الأشكال أحقية إيران (فارس) التاريخية في «استعادة» بناء امبراطوري كان لها أن تقيمه في مراحل من التاريخ القديم، وفق ادّعاءات هذا التاريخ. متصادمة بشكل مستمر مع البيئة العربية التي وجدت فيها منافساً وخصماً تاريخياً وعقيدياً رئيساً، بل وخصماً رخواً سياسياً قابلاً للتفتيت والاختراق، خاصة في العقود الأخيرة، التي توافقت مع قيام النظام الإسلاموي-القومي في إيران، لتبدأ حالة التمدد الفعلي من خلال أولى حروبها المعاصرة تجاه البيئة العربية (حرب الخليج الأولى(1))، بعد أن رسخت بناء كيانها الحديث (إيران)، بالتسلط والاستيلاء على الأقاليم المحيطة بالمركز الفارسي.

ووفق بؤر التمدد الفارسي التي جئنا على ذكرها في دراسات سابقة، وهي بإيجاز:

- بؤر الارتكاز الاستراتيجية: وتشكّل هذه البؤر عماد المشروع الإمبريالي الفارسي، وقاعدة التأصيل له عربياً، ومنطلق العمليات التوسعية اللاحقة، وتشمل كلاً من العراق ولبنان وسورية. وقد استطاعت إيران فرض هيمنة عسكرية مباشرة عليها، وتحديد أطر العلاقات السياسية داخلها وفق إملاءات الحرس الثوري.

- بؤر تمدّد استراتيجي: وتشكّل هذه البؤر أهمية كبرى، لناحية استقرار المشروع الإمبريالي، وحمايته، عبر تغليفه للبؤر الأولى بمناطق عزل ثقافي-مذهبي، تتحوّل لاحقاً إلى عازل سياسي-عسكري تجاه المحيط الخارجي، يمنع تسرب مقاومة عربية إلى داخل الكيان الإمبريالي، وتشمل اليمن ومصر والسودان، وهي ما تزال في طور المحاولة، حيث تتفاوت قدرات إيران في هذه الدول، من محاولات ولوج أخفقت في مصر، إلى إخفاق تام في السودان بعد طرد مقومات مشروعها منه، إلى اختراق ميليشياوي في اليمن قاد إلى الانقلاب الحوثي على الدولة.

- بؤر التوسع الفائض: وتشكّل مناطق هذه المجموعة فائضاً استراتيجياً في المشروع الفارسي، تستكمل به الهيمنة على العالم العربي ككل، جاعلة منها خط دفاع أول، وربما قابلٍ للمساومة في مواجهة المشاريع المنافسة له. وتشمل دول المغرب العربي، حيث تعتبر تونس بوابتها، بالإضافة بالطبع إلى المغرب وموريتانيا، وتشكل هذه البؤر داعماً إسنادياً لوجستياً للبؤر السابقة، عبر توظيف معطياتها في ترسيخ المشروع الإيراني (تشييع واستقطاب نخب).

- الهدف الاستراتيجي الأعلى: ويشمل دول الخليج العربي كافة، بحثاً عن السيطرة المباشرة على الحرمين الشريفين، وفق ادعاءات دينية-قومية، عبر إحاطة هذه الدول ببؤر ارتكاز وتمدّد وتوسع، واختراقها من داخلها عبر تغذية صراع الهويات المذهبية، وتعتبر البحرين البوابة الرئيسة لهذا الهدف، إضافة إلى محاولات اختراق عديدة للكويت وقطر وعمان والإمارات، وبأدوات مختلفة، دينية أو اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية.

فإننا نلحظ أن المشروع الفارسي، مشروع بعيد المدى، يستهدف كافة المحيط العربي، مستفيداً من كافة الاضطرابات الواقعة في هذه البيئات، دافعاً إلى توظيفها بأقصى حدودها من خلال جملة آليات اختراق، لعل من أهمها:

- الربط بين إيران والبيئة المستهدفة عبر اتفاقيات التعاون (الاختراق الدبلوماسي).
- الإسناد التاريخي (الاختراق الثقافي).
- إنشاء جملة مشاريع استثمارية ذات أبعاد استخبارية (الاختراق الاقتصادي).
- إعادة بناء المجتمع مذهبياً، عبر تغيير هويات البنى الديموغرافية (الاختراق البشري الهويتي).
- الاستحصال القانوني على وضع مميز للأقلية المصطنعة (الاختراق القانوني).
- العمل على استحداث أزمات داخلية أو تغذية أزمات قائمة (الاختراق السياسي).
- إسناد النظام السياسي أو المجموعات البشرية التي تمت مذهبتها في مواجهة الطرف الأخر عبر أدوات القوة (الاختراق العسكري).

ثانياً: الإسنادات التاريخية الإيرانية في تونس:

شكلت تونس بعد ثورتها بيئة رخوة سياسياً وأمنياً، قابلة للاختراق نتيجة هشاشة البنى ما بعد الثورية وعدم اكتمال تشييدها، في مرحلة انتقالية تعجّ بكثير من الاضطرابات والإشكالات الناجمة عن الثورة وعن النظام السابق. وهو حال كافة الدول الثورية، لكنها ذات حدة أقل في تونس منها في نظيراتها الثوريات، نتيجة طبيعة البنية الفكرية الأكثر انفتاحاً لدى المجتمع التونسي، ما سهّل توسيع إطار الحريات المقامة بعد الثورة، بل وسهّل استغلالها.

عملت إيران على توظيف هذا المتغير، عبر إدراج طرح تاريخي من خلال كتّاب إيرانيين وتونسيين، عن التاريخ المترابط والمتزامن بين الدولتين، بربط الدولة الفاطمية «ذات القيادة الشيعية»، بإيران، في محاولة خلط ثقافي-تاريخي، باعتبار أن المذهب الشيعي مذهب فارسي. فيما كانت «فارس» ساعتها إحدى ولايات الإمبراطوريات العربية، ذات الهوية السنية السائدة.

هذا الخلط دفع فئات من المجتمع التونسي إلى ربط عاطفي بين تاريخ الدولة الفاطمية الوجيز في بلادهم مع دولة إيران حديثة التشكّل، وأسهم في ذلك ترويج عدد من الكتّاب لكتابات مضطربة حول دور فارس في بناء تونس وفي تشكيل الهوية التونسية، بل وتجاوز ذلك إلى اعتبار المنجز الحضاري العربي في تونس، مجرد تفصيل أثراه الفرس وحدهم. من ذلك ما روّجه السفير التونسي الأسبق في طهران من خلال توزيعه لكتاب «العلاقات بين تونس وطهران عبر التاريخ»، ومما جاء فيه(2):

«قد يعلم التونسيون وقد لا يعلمون أنّ كثيراً من مؤسساتهم هي ذات أصل إيراني سواء في الإدارة أو العسكرية أو المعمار أو التجارة أو الفلاحة أو الصناعات التقليدية، فهي أيضاً من أصل إيراني. وأنّ كثيراً من العلماء التونسيين قد أقرّوا بإيران، وأن ابن خلدون هو من أكبر المؤرخين الذين درسوا في شيء من الاستعجاب تاريخ إيران وحضارة إيران وفلسفة التاريخ الإيراني.

فالمدرسة الإيرانية قد شاركت بقبتها البصلية الأصيلة، وبمنائرها المغشاة بالزليج البارع، وبأقواسها المهموزة التي تسمى في الأندلس قوس الجيب ... كذلك المنائر الملبسة بالقاشاني

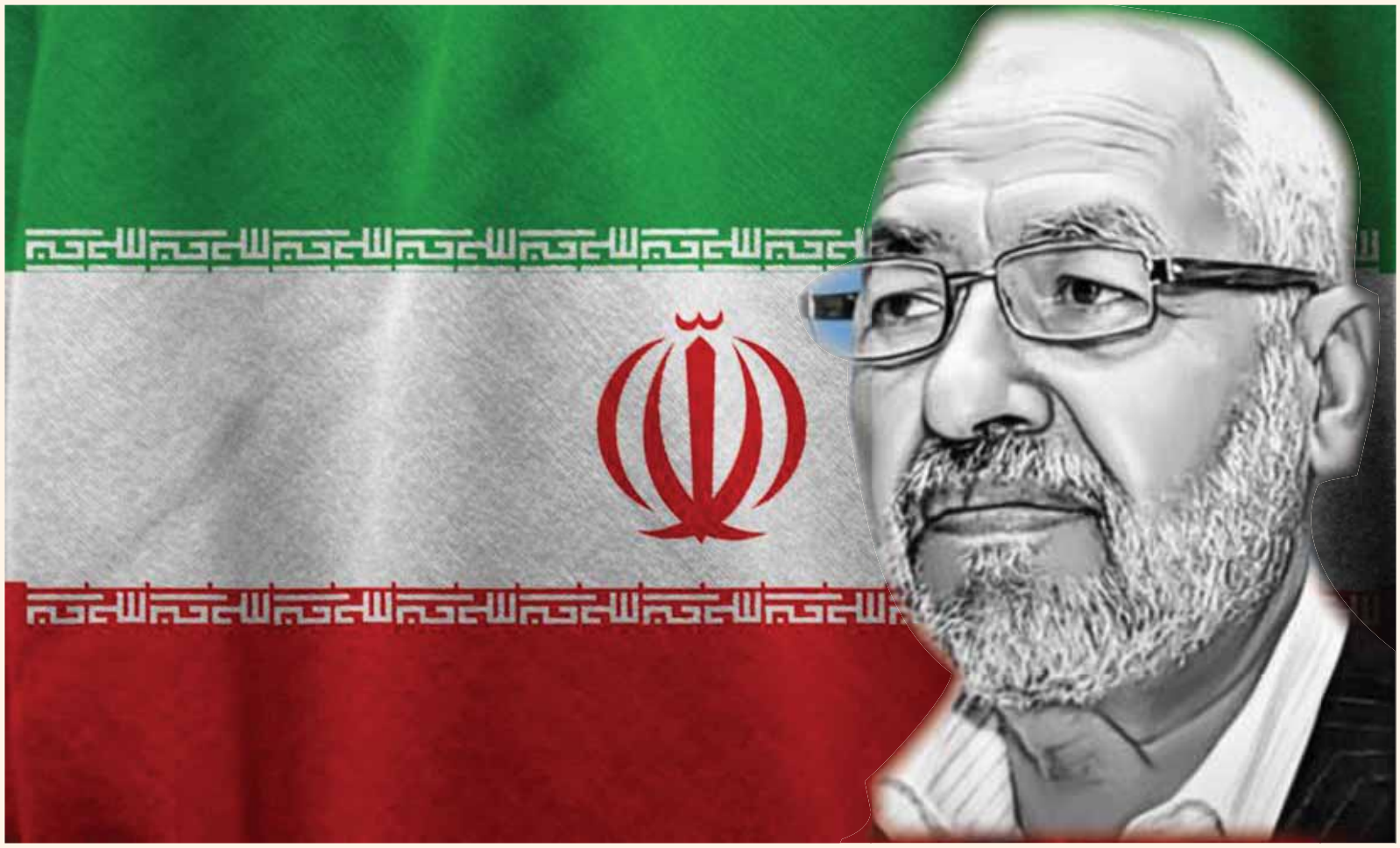

المزخرفة، وأهمها الجرالدا بإشبيلية وصومعة تستور بتونس.

فلا شك أنّ الحضارة العباسية المتأثرة بالإيرانية، والتي انبثقت عنها الحضارة الأغلبية بالقيروان، تجعل الحضارة الأغلبية متأثرة أيضاً بالحضارة الإيرانية. ولا شك أيضاً أنّ الحضارة الفاطمية التي هي أول حضارة فاطمية وقد نشأت بمدينة المهدية على الساحل التونسي، تجعل لنا صلات مع الحضارة الشيعية الإيرانية في مظاهر الحضارة العلمية والأدبية والفنية والصناعية، فعاشوراء التونسية فيها كثير من أصول عاشوراء الشيعية، ومسرحية التعزية كانت موجودة بتونس في العهد الفاطمي، واعتبار علي نور الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- لا يزال ولن يزال قائماً بتونس».

ويحوي الكتاب كثيراً من الخلط الفكري غير المتزن، لناحية ربط إيران المنشأة في القرن العشرين، هي ذاتها فارس التي كانت قائمة قبل عدة قرون، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، يجعل الكاتب أسّ الحضارة في العالم العربي فارسياً (إيرانياً) سمح للعرب بولوجها والتعلم منها. فيما اندمج الفرس بالحضارة العربية التي وإن أخذت بعضاً من مكوناتها من بلاد فارس، فإنّها كانت حضارة جامعة منتجة منفتحة على العالم كله، دون أن يعني ذلك أنّ ما أنشأه العرب من امبراطوريات كان في المحصلة نتاجاً فارسياً، وخاصة أنّ المؤلف تغاضى عن الأدوار التهديمية التي قام بها الفرس في تحطيم الامبراطوريات العربية وتسهيل غزوها من قبل المغول، عدا عن دورهم في تحطيم أساساتها الفكرية والدينية بالاختلاقات المذهبية الواسعة.

لكن أن يروج سفير تونس لتاريخ مسموم تونس.

ومزور بهذا الحجم، فهذا يدلّ على حجم الاختراق الإيراني للبنية السياسية التونسية، وعن استناد المشروع الفارسي إلى قيادات عليا في الدولة، تفتح لهم أبواب البلاد للتغلغل سريعاً فيها، دون عناء يذكر.

ثالثاً: الاختراقات الاقتصادية والدبلوماسية لتونس:

أدت أوضاع تونس الاقتصادية المتأزمة عقب الثورة، كنتيجة حتمية لعملية تطهير البلاد، وإعادة هيكلة نظمها السياسية والاقتصادية والتشريعية، إلى تسهيل المهمة الإيرانية في عملية اختراق البنى الاقتصادية التونسية، وإن كانت ما تزال في بداياتها، لكن مسارها يوحي بتقدمها وإصرارها على تشكيل حيز مهم في الفضاء الاستثماري التونسي.

إذ شملت الاتفاقيات الموقعة بين الجانبين، كثيراً من النشاطات الإيرانية في تونس، ومنها:

- التعاون البرلماني.
- حضور إيران حفل توقيع الدستور التونسي الجديد، وتجيير الجلسة لصالح خطاب «المظلومية» الإيراني، ما أحدث أزمة دبلوماسية داخل الحفل.
- اتفاقيات تعاون في قطاع الموانئ والملاحة التجارية، والخبرات الفنية الضرورية لها.
- تأسيس صندوق استثمار مشترك.
- تعاون مشترك في مجالات النشاط الزراعي ونقل الخبرات الإيرانية إلى تونس.
- استيراد السيارات والمحركات الإيرانية إلى تونس.
- فتح خط تمويل ائتماني إيراني في تونس بقيمة 100 مليون يورو، يهدف إلى تشجيع المستثمرين الإيرانيين لتوطين مشاريعهم في تونس.
- الاستثمار الإيراني في تونس في مجالات الفوسفات والنفط وصناعة مكونات السيارات.
- السعي إلى رفع حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى مليار دولار، بميزان تجاري يميل إلى صالح إيران بالمطلق، ويستنزف القدرات المالية التونسية.
- يضاف إلى ذلك، تعاون بيني في مجالات الكهرباء والصحة والتربية والتعليم والثقافة والمرأة والأسرة والإعلام والسياحة.

رابعاً: التوظيف الإيراني للمعطيات المجتمعية في تونس:

كما أسلفنا، فإن تونس تعاني من عدة أزمات في البناء الدولتي التونسي على المستوى الكلي، مورثة عن نظام زين العابدين بن علي، أو مستحدثة نتيجة الانتقال الثوري بالدولة والمجتمع إلى مرحلة يعاد فيها تأسيس البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والهويتية، ما يشكل نوافذ اختراق عديدة يتيحها هكذا وضع، وتسمح للقوى الخارجية بالقيام بأدوار تدخلية.

ولعل من أبرز الأزمات الناشئة والمتعلقة بموضوع البحث، هو الاضطراب الهويتي المستحدث عقب الثورة، إذ طالما عزل نظام زين العابدين بن علي تونس عن محيطها العربي، دافعاً إلى ربطها ثقافياً بأوروبا عامة وفرنسا خاصة، ويظهر ذلك على المستوى الشعبي لناحية توسع استخدام اللغة الفرنسية على حساب العربية، ما أحدث تناقضاً هويتياً بين أصل المجتمع وتحديثه، لم يبرز إلا بعد الانفتاح الثوري على البيئة العربية وإعادة اكتشاف الذات.

دفعت الثورة التونسيين إلى محاولة تعويض ما

فاتهم في المجال العربي، بتبني القضايا العربية الرئيسة، والمتعلقة بالموضوع الفلسطيني، وحيث أنّ الثورات العربية ما كانت قد أنجزت ذاتها بعد حتى تنجز خطاباً عربياً/قومياً جامعاً، فإنّ الفكر الذي تلقفه ثوريو تونس كان الفكر القومي الذي خلفته الأنظمة المتساقطة وخاصة نظام البعث الأسدي، بما فيه من إشكاليات تتناقض مع روح الثورة التونسية، لكنه الوحيد المتاح، في ظلّ حداثة العمل القومي التونسي، وعدم امتلاك خطاب بديل.

يتقاطع خطاب البعث الغوغائي مع الخطاب الأيديولوجي الإيراني، عن المقاومة ومحور الممانعة، متسلّطاً على القضايا العربية ومجيراً إياها لصالح المشروع الفارسي الإمبريالي، وخاصة أنّه قام بالترويج لذاته باعتباره البديل عن المشروع الإسرائيلي الإمبريالي الآخر، في ظلّ غياب مشاريع عربية كلية.

هذا التبني للخطاب الإيراني، دفع النخب الثورية إلى الميل إلى إسناد نظام الأسد ومن خلفه إيران في مواجهة المجتمعات العربية، وبناء هوية تونسية عربية قابلة للاختراق ثقافياً من قبل إيران، في مواجهة خطاب أيديولوجي آخر - الإخوان المسلمون- وجد فيه التونسيون مشروعاً مضاداً للثورة الحديثة، فيما كان يشكل في حقيقة الأمر وجهًا آخر للسلطوية الدينية الإيرانية، بل وأداة إيرانية كذلك.

فاختيارهم لخطاب المقاومة الإيراني وتفضيله على ما هو متاح من خطاب الإخوان المتمّم له، كان نتيجة أخرى لحالة الاندفاع الإخواني في عدد من دول الربيع العربي إلى الهيمنة على السلطة السياسية بعيداً عن منطق المشاركة، قبل أن تتمّ عقلنتها نسبياً في تونس، ما أوقع تلك النخب في تبني خطاب استبدادي لحظة إنشاء نظام حريات واسع، في حالة تناقض ثقافي كبرى. وهو ما سهّل المهمة الإيرانية في اختراق الثقافة الشعبية، سواء من خلال الإسناد التاريخي، أو عبر حملات إعادة تشكيل المجتمع هويّتياً من خلال توسيع حملات التبشير الشيعي، أو طرح المسألة الأقلوية في تونس. بمعنى آخر، فإن الحراك السياسي الإخواني في تونس أدى إلى تسريع الاختراق الإيراني للبنى الفكرية لدى النخب التونسية الموالية للنهضة والمناهضة لها على السواء. وقد أسهمت وسائل الإعلام المدارة من قبل الحرس الثوري في ترويج الخطاب الإيراني داخل تونس، وخاصة من خلال قناة الميادين التي يديرها التونسي-اللبناني فيصل بن جدو.

وقد ساعدت الثقافة الشعبية المتأثرة بالصوفية من جهة، وبالعبث التاريخي من جهة أخرى، على إيجاد بيئة قابلة لاستقبال نسخ مسيسة من الفكر الديني-القومي (الشيعي-الفارسي)، عبر الاشتغال على الموروثات الدينية التي غدت مسلّمات في الثقافة الشعبية، والتي تتقاطع مع الثقافة الفارسية، عبر تجييرها لصالح مشروع سياسي، ومنها طقوس عاشوراء وحب آل البيت.

وفيما عملت إيران ضمن المجال المشرقي على تغذية النزعات الأقلوية، خاصة لدى الشيعة والعلوية والأكراد في مواجهة الدولة العربية، عبر دعمها تحت غطاء ديني-قانوني، في وقت تعاني القوميات داخلها من اضطهاد كبير في الحقوق(3)؛ فإنّ تونس لا تشهد ذات البنيان الديموغرافي، أو التنوع العرقي-الديني فيها، ما يجعل إمكانية إحداث شروخ مجتمعية شبه معدومة مقابل تلك التي اشتغلت عليها إيران في المشرق العربي.

فاتجهت نحو منحيين في ذلك: خلق أقليات في المجتمع التونسي (التشييع)، وتبني قضية الأقلية الأمازيغية.

حيث أحدثت بعض الدراسات الإيرانية، مغالطات تاريخية أخرى، بنسب الأمازيغ إلى العرق الفارسي في الأصل، وتعمل على نشر المذهب الشيعي في أوساطهم، وأدلجتهم بأنهم فئة مضطهدة مجتمعياً عرقياً ودينياً، وهو ما اشتغلت عليه في العراق وسورية ولبنان والبحرين واليمن، في سعي منها إلى تحويلهم إلى أداة تدخلية مستقبلاً، كما حصل في تلك الدول.

وحيث إنّ نسبة الأمازيغ في تونس تقل عن 1% من مجموع السكان، بما لا يكفي لإحداث شروخ مجتمعية، فإنّ إيران عمدت إلى خلق هوية تصادمية يمكن لها أن تحقق ذلك، من خلال إعادة بناء هوية المجتمع التونسي عبر توسيع حملات التبشير الشيعي، عبر منحيين:

- تشييع بؤر جغرافية أشبه بالكانتونات، تكون متطرفة عن المركز، تشكل فيما بعد شريطاً جغرافياً-ديموغرافياً متكاملاً.

- تشييع بؤر منفصلة داخل الدولة، تتميز بنخبويتها السياسية والثقافية، تعمل على اجتذاب الأطراف.

خامسًا: حملات التبشير الإيرانية في تونس:

تعود محاولات تشييع المجتمع التونسي إلى مرحلة الثمانينيات، مع انطلاق مشروع خميني في نشر الثورة الإيرانية في المحيط العربي، عبر شخصيات تونسية من أبرزها التيجاني السماوي وعماد الدين الحمروني، اللذين تلقيا دعماً كبيراً من خميني. وتنتشر الحركة الشيعية خاصة في جنوب تونس في مدن قابس وقبلي، ومن أبرز جمعيات التشييع التونسية «المودة الثقافة

المشروع الفارسي، مشروع بعيد المدى، يستهدف كافة المحيط العربي، مستفيدًا من كافة الاضطرابات الواقعة في هذه البيئات، دافعًا إلى توظيفها بأقصى حدودها من خلال جملة آليات اختراق

الشيعية»، ولا يمكن تحديد عدد المتشيعين بدقة، إلا أنهم ما زالوا في طور المئات أو الآلاف فقط.

ووفق دراسة صدرت في كتاب بعنوان: «حلم الشيعة: مملكة فاطمية في الشمال الأفريقي» لمؤلفه محمد مختار، فإنّ إيران اكتشف قدرات على استخدام ديانة الشيعة في قلب أنظمة الحكم بالدول العربية التي كانت تئنّ تحت سيطرة ديكتاتوريات عربية في هذا الوقت لإحياء الدولة الفاطمية ضمن مخطط لتأسيس شريط فاطمي يعتنق الديانة الشيعية في المنطقة الممتدة من غزة في فلسطين وحتى المغرب. وأشارت الدراسة إلى أنّ إيران استغلت التربة المواتية للتشيع في تونس بالنظر إلى أنّ تونس كانت مهداً للدولة الفاطمية تاريخياً، وأسست مراكز للتشيع في مناطق مختلفة من تونس خاصة جنوب البلاد في فترة الثمانينات مع ظهور حركة ما يسمى: «المسلمون السائرون على خطى الإمام». حيث شهد جنوب تونس حركة تشييع واسعة، عبر التخفي خلف المذهب الشافعي خلال حقبة الثمانينات للتسرب وسط قطاعات من طلاب الجامعات في تونس بالرغم من المعارضة الرسمية والشعبية لظهور الديانة الشيعية في تونس. خاصة مع قيام إيران بدعم الجمعيات والمؤسسات التي تخفّت خلف الأعمال الخيرية والأنشطة الثقافية لنشر دين الشيعة بين التونسيين. ورصدت الدراسة قيام إيران بالعمل على تكريس إدخال تركيبة مذهبية جديدة في تونس وليبيا المجاورة لاستغلالها فيما بعد كذريعة للتدخل في الشئون الداخلية لتونس ولأية دولة عربية أخرى بحجة حماية الأقلية الشيعية(4).

ووفقاً للمحامي التونسي أحمد بن حسانة «قمنا في نيسان/إبريل 2012 بالإعلان عن تأسيس الرابطة التونسية لمناهضة المدّ الشيعي، تزامناً مع زيارة وزير الخارجية الإيراني إلى تونس وافتتاح أسبوع السينما الإيرانية. أردنا من خلال هذا التزامن أن نحدث رمزية باعتبار أنّ رابطتنا توجه أصابع الاتهام لإيران بنشر التشيع الجعفري في البلدان العربية السنية، وتونس منها، عبر مخطط يقوم على رصد الأموال وتجنيد الأشخاص ... إيران لن تتوانى عن تسليح هذه الخلايا النائمة متى دعا الأمر إلى ذلك لخلق الفتنة في إطار ما يسمى بتصدير الثورة الإيرانية»(5).

ويرى بن حسانة أنه لا يعوز الركيزة القانونية التي يستند إليها لمعارضة ومناهضة تسرب المذهب الشيعي إلى تونس ويقول «بقدر إيماننا وتمسكنا بحرية المعتقد واحترامنا لكل الأديان وإيماننا بقيم التسامح وحق الاختلاف، فإننا نعتبر من الخطر بمكان أن تعمل أطراف تونسية وبإيعاز من جهات خارجية على نشر المذهب الشيعي بيننا؛ نظراً لما يمثله ذلك من تهديد لأمن بلادنا واستقرارها، ومن شأنه أن يزرع فتنة طائفية بين ساكنيها كان شعبنا طيلة تاريخه بمنأى عنها، وسيؤول الأمر في النهاية إلى إغراق البلاد في دوامة من العنف والاحتقان»(6).

وقد صنّفت عدة تقارير إعلامية ومقالات نشرت عبر صحف ومواقع إلكترونية، تونس، بأنها من البلدان التي تشهد «حركة تشييع» سريعة وواضحة المعالم. إلا أنّ تلك التقارير والتحذيرات لم تجد لها آذاناً صاغية لدى كلّ من الإعلام الرسمي والخطاب الحكومي اللذان يؤكدان باستمرار أنّ الدولة لا تتدخّل في معتقدات وأديان المواطنين التونسيين المعروفين بتسامحهم واعتدالهم. إلا أنّ ذلك الصمت أو التجاهل لو صحّ التعبير يخفي صراعاً يدار في الخفاء بين المذهبين السنّي والشيعي ويمكن ملاحظته بجلاء عبر الشبكة العنكبوتية وخصوصاً عبر شبكة «الفيسبوك» حيث توجّه الاتهامات باستمرار إلى دور «مشبوه» للسفارة الإيرانية في تونس على حدّ تعبير عدد من المشاركين في تلك النقاشات «المذهبية» التي تدور رحاها بين سنة وشيعة لا يربط بينهم غير الجنسية التونسية المُشتركة، وما دون ذلك يبدو الاختلاف عميقاً وحاداً في أحيان عدّة(7).

سادسًا: إخوان تونس وإيران:

وجدت إيران في الفكر الإخواني تقاطعاً كبيراً مع مصالحها الإمبريالية في العالم العربي، تستند إلى آليات توظيف الدين في خدمة المصالح السياسية، ما أدى إلى رعاية إيرانية لاحقة لتكتلات الإخوان المسلمين في كثير من الدول العربية، أولئك الذين وجدوا في ثورتها الخمينية منهاج عمل يسهم في تسريع وصولهم إلى السلطة، ونجد أن نشاطهم الحثيث عقب الثورات العربية – وإن لم يكلل بنجاح يذكر- إلا أنّه اتجه إلى مسار تأطير الثورات الشعبية بأطر إسلاموية تمنحهم السيطرة على المسارات السياسية الجديدة. كما أنّ الفكر الخميني ذاته كان قد انبنى على كثير من الأسس الفكرية لجماعة الإخوان المسلمين، والتي عادت وبنت عليه.

من ذلك ما قد أشار إليه رئيس حركة النهضة الإسلامية - فرع الإخوان في تونس- راشد الغنوشي إلى أن تطوّر المسار الفكري للحركة تاريخياً تأثر بالثورة الاسلامية في إيران والقيم التي بشرت بها وخاصة مبادئ «الانتصار للمستضعفين ومواجهة الظلم والاستكبار». وقد أبدى في كثير من كتاباته إعجاباً بالتجربة الإيرانية معتبراً إياها حركة التجديد الأكبر في التاريخ الإسلامي، بل وعمل على إعادة إنتاج الفكر الإخواني بناء على معطيات الثورة الخمينية. ويذهب الغنوشي إلى أبعد من ذلك، باعتبار إيران النموذج «الديمقراطي» الأنسب، فيما تعاني إيران من أزمات سياسية هويتية تنذر بامتداد الربيع العربي إليها في السنوات المقبلة.

وكان الغنوشي قد أكد في أحد كتبه أنّ «هناك دلائل كثيرة على تطور الثورة الإسلامية الإيرانية وانتصارها المشرق في التاريخ الحديث للحركة الإسلامية» مشيراً إلى العلاقة الوثيقة التي كانت تربط بين حسن البنا وآية الله الكاشاني، الزعيم السابق للحركة الإسلامية الإيرانية، في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، حيث وضعا برنامجاً للتعاون والتنسيق لقيام الدولة الإسلامية وتأييدها من الجميع في أيّ مكان تقوم فيه. ويعتبر الغنوشي أن حركة «فدائيان الإسلام» بقيادة نواب صفوي في إيران كانت امتداداً لفكر الإخوان المسلمين (وهذا ما يفسر التعاون الوثيق بين إيران وحركة النهضة في تونس) (8).

وحيث تواجهه حركة النهضة مناهضة شعبية داخل تونس، عمدت إلى الالتقاء مع تيارات سياسية أخرى، وبخاصة القومية، من خلال التقاطع المشترك في دعم حزب الله اللبناني ومشروع إيران في المشرق العربي «المقاومة والممانعة» عبر تبني الطرفين ذات الأطروحة الإيرانية، وتأييد حزب الله ومن خلفه إيران ونظام الأسد. وهو ما أعطى الحركة مجالاً للمناورة داخل النخب التونسية اليسارية والقومية، فيما عمل حزب الله على إسناد حركة النهضة وخاصة من خلال حضوره لمؤتمرها عام 2012 في تونس، ليتم توظيف ذلك، من خلال الترويج النشط لمشروع التشييع في تونس.

هذا العلاقة العضوية بين حركة النهضة – الإخوان المسلمون- وإيران، أدت في المحصلة إلى تعزيز مواقف الطرفين سياسياً، وأسهمت في دعم الحركة وتحصينها داخلياً، مقابل توسيع الامتداد

فتح خط تمويل ائتماني إيراني في تونس بقيمة 100 مليون يورو، يهدف إلى تشجيع المستثمرين الإيرانيين لتوطين مشاريعهم في تونس

الإيـرانـي إلـى تـونـس، وترسيخ البنى الفكرية والمجتمعية له.

ما بعد الترسيخ الإيراني في تونس:

يمكن وصـف المرحلة الأولـى مـن النشاط الإيـرانـي في تونس، بمرحلة ترسيخ الحضور الإيراني، وهو أمر تشتغل عليه إيران في البيئات المستهدفة، وفق عملية طويلة المدى، تراكمية، ذات وتـيـرة منخفضة لا يمكن ملاحظتها في المراحل الأولـى. أي أن العقلية الفارسية عقلية تمتاز باشتغالها الاستراتيجي طويل المدى، وليست معنية بالحصول على مكاسب آنية غير مضمونة الاستمرار. وهو النهج الـذي شهدنا تأسيسه في العراق وسورية ولبنان، قبل إحكام السيطرة على مفاصل تلك الـدول، وهـو ما نشاهده في حالات دراسية عديدة، ليس اليمن وحيداً فيها، بل سبقتها السودان ودول إفريقية متعددة –جنوب الصحراء- ودول في آسيا وأمريكا اللاتينية.

لذا، فإن عملية الاشتغال الإيراني في تونس، وإن كانت مهمة شاقة لغياب كثير من مقوماتها، كتلك التي في المشرق العربي، إلا أن مؤشراتها تظهر بين الفينة والأخرى، للمتابعين للشأن الإيراني. ولسنا بصدد استعراضها، بقدر ما نحن مهتمون بتصنيفها، لتبيان النمط العام للعقل الفارسي المشتغل بالشأن العربي، والتونسي ضمناً. وهنا يمكن أن نسجل التنميط التالي، وهو الحرص الإيراني على الاشتغال وفق ثلاثة مستويات متوازية، تسير معاً:

- الأول: علني رسمي واضح، لا يشوبه تشكيك، يندرج ضمن إطار العلاقات الدبلوماسية الودية مع الـدول المستهدفة. وقد لاحظنا ذلك في أسمياه مرحلة التأسيس للحضور. وإن كان هذا الاشتغال لا يخلو من أدوات يتم من خلالها محاولة الإيقاع بالجانب الرسمي (الحكومي المستهدف)، كما سنرى لاحقاً.

- أما الآخـر، فهو اشتغال غير رسمي، أو شبه رسـمـي، حيث تحرص إيـران على الحضور في المناسبات الشعبية والثقافية، والتواصل مع نخب وشخصيات حكومية، ولكن خارج الأطر الرسمية، وهو تأسيس موازٍ لسابقه.

- أما الاشتغال الثالث، فهو اشتغال غير معلن، ولا يمكن ملاحظته، أو التدليل عليه بصورة واضحة، إلا عبر أدلة غير مكتملة، يبقى التشكيك فيها أمراً سهلاً، وهو اشتغال منوط به بناء الحواضن الشيعية من جهة، وربما العسكرية من جهة ثانية، عبر أذرع متعددة، أهمها حزب الله، المنوط به الاشتغال على هذا التأسيس عربياً.

ووفقاً لهذه المسارات الثلاث، يمكن أن نضع السلوكيات الإيرانية المتفرقة فيها، حتى نتدارك الصورة الأعم –طويلة المدى التي يشتغل عليها الإيراني، في تونس خصوصاً، وفي كافة البيئات المستهدفة عموماً. ومن ذلك مثلاً:

- الإشـادة بتونس، وبقيادتها، وحضور كافة المناسبات الرسمية والشعبية، وتكريم شخصيات تونسية حكومية أو شعبية، وتصدير ذلك عبر الإعلام الإيراني، الناطق بالعربية خصوصاً، لإظهار مدى التقارب الرسمي والشعبي، وصولاً إلى محاولة تصوير تونس كحليف أو صديق مقرب من إيران.

- ويظهر هنا خطاب الحـرص على تونس، وأحياناً يكون أشبه بالخطاب الاستعلائي الوصائي الغربي، من خلال توجيه الحكومة التونسية لما «يجب أن تفعله» وهذا يظهر على سبيل المثال، في تعليق المتحدث باسم الخارجية الإيرانية على أحداث صيف عام 2021 في تونس.

- في ذات السياق، سنلحظ محاولة اقتطاع تونس عن بيئتها العربية، من خلال زرع أسافين تفريق هويتي وسياسي، وإن اضطر الأمر، لتصوير تونس على أنها تميل إلى جانب إيران في قضايا الشرق الأوسط، أو أنها تتبنى وجهة النظر الإيرانية

حضور إيران حفل توقيع الدستور التونسي الجديد، وتجيير الجلسة لصالح خطاب "المظلومية" الإيراني، أحدث أزمة دبلوماسية داخل الحفل

المعادية للعرب. وهنا نستذكر التصريحات الإعلامية التي ظهرت على وسائل إعلامية إيرانية ناطقة بالعربية، حول موقف الرئيس السابق: باجي قائد السبسي، من إيران، واعتبارها حامية العرب من إسرائيل، في نيسان/إبريل 2017، والتي نفتها تونس وبشكل رسمي.

القضية الفلسطينية مدخل إيراني في تونس:

وفق ما تقدم، يمكن لنا أن نبرز ثلاثة تيارات سياسية رئيسة في تونس، بعد الحدث الثوري، وهي:

- تيار الإسلام السياسي، المتمثل بشكل رئيس في حركة النهضة، والتي كانت في مقدمة القوى التي اشتغلت مع إيران، وكانت قريبة منها على المستوى الفكري-السياسي، وعلى المستوى التنظيمي، بل ويمكن القول إنها كانت مدخلاً رئيساً لإيران في البيئة التونسية.

- تيار تقليدي، هو امتداد ثقافي للبيئة الثقافية ما قبل الثورية، تمثلت في مرحلة ما بشخص الرئيس السابق: السبسي، ومجموعة العمل التي كانت معه. وحاول هذا التيار الحفاظ على حد أدنى من العلاقات مع إيران، لكن وفق الشكل السابق، بمعنى عدم الانجرار إلى علاقات مضادة للمصالح العربية، أو مناهضة للعمل العربي المشترك.

- أما التيار الثالث، فهو تيار هجين من قوى يسارية، وقومية، وقومية جدية ما بعد ثورية، تحاول أن تنشأ خطابها على خطابات سياسية موروثة من فترات ماضية، تقوم على مركزية القضية الفلسطينية وحدها، باعتبارها أنها هي القضية العربية، دون الالتفات إلى بنية الإشكاليات العربية كافة.

- في وقت لم تستطع القوى الشبابية ما بعد الثورية، بلورة تيار مستقل عن التيارات السابقة.

بالعودة إلى التيار الثالث، شكّل اندفاعه غير المتوازن نحو تبني خطاب «القضية الفلسطينية» كما مرّ سابقاً، مدخلاً بالغ الأهمية لإيران، وهنا نقصد بالخطاب غير المتوازن، أننا نؤكد من جهة على أهمية القضية الفلسطينية كقضية إنسانية أولاً، وعربية وإسلامية وهويتية، لكن مع التأكيد في ذات الوقت، على ضرورة الانتباه إلى التوظيف السياسي الذي يجري باسم «المقاومة والممانعة» والذي تم من خلاله تدمير عدة دول عربية طيلة العقد الماضي، وحتى تاريخه، وهو المحور الذي تشرف عليه إيران بشكل مباشر، بل وتقوده إما مباشرة عبر فيلق القدس وأذرعته، أو عبر ميليشياتها الطائفية الممتدة في العالم العربي، أو عبر قوى محلية يتم الالتقاء معها من خلال أدلجة القضية الفلسطينية.

سيظهر ذلك في بعض سلوكيات الرئيس التالي: قيس سعيد، حيث شكلت هذه الخلفية الثقافية لديه، نقطة تقارب مهمة مع إيران، أو مع حلفائها في العالم العربي، رغم انتقالاته السياسية غير المتوازنة من جهة إلى أخرى، إلا أن ذلك لم يمنعه من الحفاظ على مسافة قريبة مما يسمى بـ «محور المقاومة والممانعة»، وما يترتب على ذلك من انحيازات سياسية مضادة للتوجهات العربية.

ختاماً، ما يزال المشروع الإمبريالي الإيراني قيد التوسع تجاه بيئات عربية جديدة، يسنده في ذلك أسس فكرية مشوّهة يشتغل على ترويجها، ضمن قائمة أدوات واسعة في قوته المرنة، قبل أن ينتقل إلى مرحلة توظيف قوته الصلبة في ترسيخ هيمنته، وهي مرحلة لاحقة لمدّ النفوذ، تتواءم مع معطيات أزموية دفعت إليها إيران عبر استغلال الإشكاليات الداخلية.

دون أن يعني ذلك حتمية البناء الإمبريالي الفارسي، وسقوط العالم العربي بأسره في قبضة النظام الملالي، فكل تمدّد جديد للاستراتيجية الإيرانية، يبقى بمثابة عبء غير قادرة على إدارته كما فعلت في المشرق العربي، إذ تبقى قدراتها السياسية والعسكرية والمالية واللوجستية محدودة أمام اتساع الفضاء العربي، رغم ما تدفع به من أدلجة لهذه المجتمعات.

كما أنّ أوضاع الداخل الإيراني الاقتصادية والقومية تشكل بدورها عامل ضغط انفجاري في طور التبلور، ينذر باندلاع أزمات هويتية تصادمية مع المركز الفارسي داخل إيران، كنتيجة حتمية لاستبدادية النظام السياسي وفرض الهوية الشمولية على الأقليات الأخرى، في عملية تفاعل إقليمي بين إيران ومحيطها المتفجر أساساً، إذ أنّ ارتداد العسكرة التي أقامتها في العراق وسورية خاصة، ستطال بدورها العمق الإيراني، وهو ما يقوض البناء الإمبريالي المتسع، ويقضي على أدواته لاحقاً، وخصوصاً مع انهيارات اقتصادية ومعاشية لم يعد بالإمكان إصلاحها، أو على الأقل تحتاج إلى سنوات وربما عقود حتى تخرج إيران من مستوى الأزمة المتفجرة بالغة الخطورة، وهو أمر يشكل عائقاً كبيراً أمام مشاريعها الخارجية.

وإلى أن يتم ذلك، فإنّ كثيراً من البيئات العربية معرضة لكافة أشكال الاختراق الإيراني، وخاصة الاختراق الهويتي، في ظل اضطراب إشكالي في الهوية العربية، غذّته الثورات العربية، التي ما تزال تفتقد إلى خطاب بنائي للهوية العربية بعيداً عن التداخلات الإقليمية (وخاصة الدينية منها)، وبعيداً عن الخطاب المستهلك للأنظمة الديكتاتورية المتساقطة، حيث ما تزال هوية المجتمعات العربية أسيرة للأدلجة الخارجية أو للنمط الفكري الذي ثارت عليه.

* باحث وأكاديمي سوري

■ **مصادر:**

1 - للمزيد حول هذه الحرب، انظر: عبد القادر نعناع، "ضرورات الحرب الإيرانية - العراقية ودورها في المشروع الفارسي"، 2014/8/12، مركز المزماة للدراسات والبحوث: http://www.almezmaah.com/ar/news - view - 6399.html

2 - للاطلاع على المزيد، انظر: عثمان العكاك، "العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ"، موقع إيران والعرب: http://iranarab.com/Default.asp?Page=ViewArticle&ArticleID=581

3 - للاطلاع على قضايا حقوق القوميات في إيران، انظر: عبد القادر نعناع، "صراع الهويات في إيران: بين الهوية الكلية والهويات الفرعية"، 2013/10/23، مركز المزماة للدراسات والبحوث http://almezmaah.com/ar/news - view - 3058.html

4 - "دراسة: إيران دعمت نشر الديانة الشيعية في تونس للتدخل في شؤونها الداخلية"، موقع النبأ الإخباري الدعوي، 31 يوليو/تموز 2012: http://www.ennaba.com

5 - لمياء المقدم، "التشيع في تونس وعلاقته بإيران"، 12 يونيو/حزيران 2012، ميدل ايست أونلاين: http://www.middle - east - online.com/?id=133028

6 - المرجع السابق.

7 - "شيعة تونس ورقة تستغلها إيران"، موقع البينة: http://www.albainah.net/index.aspx?function=Item&id=30438&lang

8 - "إيران هامش الإخوان المسلمين للمناورة بعيداً عن أعين الأمريكان والإنجليز"، صحيفة العرب اللندنية، العدد 9065، 30 يونيو/حزيران 2014، ص 13.

في 7 نقاط..
ما هي العقوبات الاقتصادية الأمريكية؟

تعتبر أمريكا، الدولة "الرائدة" في فرض عقوبات اقتصادية على خصومها سواء أكانوا دولًا أم أفرادًا أم كيانات

يوسف شرف الدين

■■ أصبحت العقوبات الاقتصادية في السنوات الأخيرة الخيار المفضل في السياسة الخارجية لدى الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية، للتعامل مع «تجاوزات» أو تهديدات الخصوم، وذلك بعيداً عن اللجوء للصدامات العسكرية أو المعارك.

وتعد العقوبات الاقتصادية جملة من التدابير والإجـراءات الاقتصادية والمالية التي تفرضها دولة أو دول أو منظمات أو هيئات دولية أو إقليمية على دولة أو تنظيم أو شركة أو غيره، على خلفية القيام بأعمال عدوانية أو تهديد للسلم الدولي، أو لحمل ذلك الطرف على تقديم تنازلات ذات طبيعة سياسية أو اقتصادية أو عسكرية.

وتعتبر أمريكا، الدولة «الرائدة» في فرض عقوبات اقتصادية على خصومها سواء أكانوا دولاً أم أفراداً أم كيانات. وإليكم في هذا التقرير كل ما نعرفه عن تطور العقوبات الأمريكية، بحسب ما نشرت صحيفة The Washington Post الأمريكية.

1 - ما هي العقوبات الاقتصادية؟

يمكن أن تكون العقوبات واسعة النطاق؛ مثل الحظر المفروض على كوبا، أو مُحدَّدة الهدف، التي أصبحت نهجاً مفضلاً على نطاق واسع في العقود

بعد انسحاب ترامب من الاتفاق النووي الإيراني في 2018، أعاد إصدار مجموعة من العقوبات ضد إيران.. وقبل مغادرته منصبه، أضاف عقوبات وأهدافًا جديدة إلى القائمة المتزايدة

الأخيرة. وعندما تُصدِر الولايات المتحدة عقوبات ضد أشخاص أو كيانات، يُمنَع مواطنو الولايات المتحدة وشركاتها من التعامل معهم. وفي بعض الحالات، تذهب العقوبات إلى أبعد من ذلك، بمنع الأمريكيين من التعامل مع أطراف ثالثة تشارك في أعمال تجارية مع المستهدفين بالعقوبات.

ويمكن للعقوبات أن تحد من مجموعة من الفرص الاقتصادية والتجارية. وغالباً ما تشمل تجميد تأشيرات السفر والحسابات المصرفية. ويمكن إصدارها ضد الأفراد والبنوك والمؤسسات والحكومات والكيانات الأخرى، مثل السفن.

ومع تزايد أهمية العقوبات في السياسة الخارجية، ازدادت كذلك الانتقادات بشأن مدى فاعليتها، والمخاوف من تداعياتها على السكان المدنيين.

2 - لماذا اكتسبت العقوبات الاقتصادية شعبية في واشنطن وأصبحت خيارها المفضل؟

يتمتع كل من رئيس الولايات المتحدة والكونغرس بسلطة إصدار عقوبات. ويسمح قانون السلطات الاقتصادية الطارئة الدولية لعام 1977 للرئيس بفعل ذلك بسهولة نسبية.

ونظراً لأنَّ درجة عالية من التجارة العالمية تعتمد على الدولار الأمريكي وتتدفق من خلال المؤسسات المالية التي تتخذ من الولايات المتحدة مقراً لها، تتمتع واشنطن بوضع فريد يسمح لها بفرض عقوبات وإنزال «قدر هائل من المعاناة الاقتصادية» من خلال تقييد الوصول إلى الأسواق العالمية، على حد قول علي فايز، مدير مشروع إيران في مجموعة الأزمات الدولية ومقرها واشنطن، في حديث لواشنطن بوست.

3 - كيف تطورت العقوبات الأمريكية؟

يقول جون سميث، المدير السابق لمكتب مراقبة الأصول الأجنبية التابع لوزارة الخزانة الأمريكية - الذي يفرض عقوبات اقتصادية وتجارية - إنَّ العقوبات تحولت في العقود الأخيرة من «النمط القديم، والحظر على مستوى البلاد» مثل تلك المفروضة على نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، إلى الحظر «المستهدف» الذي يركز على الجهات الفاعلة الفردية.

وبدأ هذا التحول في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، عندما بدأت واشنطن التركيز على التمويل الدولي لجهود مكافحة الإرهاب، على حد قول بريان أوتول، زميل أقدم غير مقيم في مركز GeoEconomics التابع للمجلس الأطلسي بواشنطن.

وقال أوتول إنَّ هذه الجهود استفادت من الهيمنة المتزايدة للولايات المتحدة في مجال التمويل الدولي، التي ساهمت، مع التغييرات الفنية والقانونية، في صعوبة "نقل الأموال حول العالم دون التفاعل مع الولايات المتحدة".

على مدار العقد الماضي، بدأت الولايات المتحدة أيضاً في الاعتماد على عقوبات ثانوية أو تتجاوز الحدود الإقليمية، التي تعاقب الأطراف الثالثة التي تتعامل مع شخص مُستهدَف بالعقوبات؛ مما يجبر الآخرين بفاعلية على الالتزام بسياسات الولايات المتحدة.

4 - ما النهج الذي سلكه ترامب فيما يخص العقوبات؟

فرض الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، الذي فضل اتخاذ إجراءات رئاسية أحادية الجانب، مجموعة من العقوبات الاقتصادية أضرت الخصوم وهددت في الوقت نفسه مصالح بعض الحلفاء. وتراوحت أهدافه من إيران إلى المحكمة الجنائية الدولية وما وراءها.

تقول جوليا فريدلاندر، الزميلة البارزة في المجلس الأطلسي التي عملت على سياسات العقوبات في وزارة الخزانة الأمريكية في عهد الرئيس باراك أوباما وترامب، إنَّ «الفوضى» التي اتصفت بها «عملية صنع السياسات شديدة التجزئة» التي يتبعها ترامب ساعدت في جعل العقوبات بديلاً مفضلاً.

5 - كيف يمكن أن يختلف نهج بايدن؟

على عكس ترامب، يتوقع سميث، المدير السابق لمكتب مراقبة الأصول الأجنبية، من بايدن اتباع نهج متعدد الأطراف فيما يخص فرض العقوبات والاعتماد عليها اعتماداً أقل مما فعله ترامب.

وقال سميث إنَّ «إدارة بايدن، مثلها مثل الإدارات الأخرى قبلها، ستهتم كثيراً بمحاولة تنسيق نهج العقوبات قدر الإمكان

(مع الدول الأخرى). وكلما كانت العقوبات متعددة الأطراف، زادت فاعليتها».

يُذكر أنَّ بايدن وقَّع، في اليوم التالي لتنصيبه، سلسلة من الأوامر التنفيذية، منها أمر دعا إلى تقييم تأثير العقوبات الأمريكية على الاستجابات العالمية لوباء فيروس كورونا المستجد.

6 - ما هي بعض الدول التي نتوقع أن تشملها العقوبات الاقتصادية في عهد بايدن؟

فرضت إدارة بايدن لائحة غير بسيطة من العقوبات على روسيا في يوم الخميس 15 أبريل/ نيسان، التي تشير إلى أنَّ المزيد قادم. وبالنسبة لسياسة الولايات المتحدة تجاه فنزويلا وكوريا الشمالية، حيث تعامل ترامب بنهج أكثر تعددية، يتوقع المحللون أن يواصل بايدن الاعتماد على العقوبات.

لكن من المتوقع أن يتخذ بايدن نهجاً أكثر عدوانية تجاه روسيا مما فعل ترامب. وكان الكونغرس هو الذي أقر في النهاية عقوبات تتعلق بالتدخل الروسي في الانتخابات الأمريكية لعام 2016 وكَبَح سلطة الرئيس في إلغائها.

بعد انسحاب ترامب من الاتفاق النووي الإيراني في 2018، أعاد إصدار مجموعة من العقوبات ضد إيـران. وقبل مغادرته منصبه، أضـاف عقوبات وأهدافاً جديدة إلى القائمة المتزايدة؛ مما أدى إلى تعقيد هدف بايدن المُعلَن المتمثل في العودة إلى الاتفاقية.

وفي هذا السياق، يقول علي فايز، مدير مشروع إيـران في مجموعة الأزمـات الدولية، إنَّ النقطة الشائكة هنا هي أنَّ بعض هذه العقوبات لا تمثل انتهاكاً مباشراً لاتفاق 2015، لكنها تخنق إيران حالياً بدرجة كبيرة.

7 - ما الإصلاحات على نظام العقوبات التي تناقشها واشنطن؟

يريد بعض الخبراء والمدافعين إصلاحاً جذرياً لآلية تطبيق العقوبات الأمريكية. من الناحية العملية، يقول فايز إنَّ العقوبات الأمريكية نادراً ما حققت أهداف السياسة الخارجية المُعلَنَة.

وأوضح أنَّ هذا يرجع جزئياً إلى أنَّ واشنطن ليس لديها إطار واضح لتقييم فاعلية العقوبات وما إذا كانت أهداف السياسة الخارجية قد تحققت أم لا، إضافة إلى أنها لا تمتلك آلية لمتابعة تنفيذ الوعد بتخفيف العقوبات إذا كان المُستهدَفين بالعقوبات قد غيروا سلوكهم بالفعل.

وأضاف فايز: «إنَّ العقوبات فعَّالة فقط بقدر احتمال تخفيفها استجابةً للتغييرات في السياسة». مشيراً إلى أنَّ الكونغرس يمكن أن يضطلع بدور في هذا الإصلاح من خلال سن تشريع يحدد معايير واضحة لرفع العقوبات وتخفيفها.

وتقول جماعات حقوق الإنسان إنَّ العقوبات الأمريكية في بعض الدول، من بينها العراق وإيران وفنزويلا، أدت إلى تفاقم الأزمات الإنسانية من خلال عزل المدنيين عن الأنشطة الاقتصادية الحيوية؛ مما أدى إلى نقص في الأساسيات مثل الأدوية. وكان بعض الديمقراطيين في الكونغرس يضغطون من أجل سن تشريع لضمان وجود استثناءات إنسانية لإيران أثناء الوباء.

ماذا حققت العقوبات الأمريكية على إيران؟

ومن الطبيعي أن يشكك الكثيرون في قرار الإبقاء على نفس الموقف السياسي لمدة ستة عقود على الرغم من عدم رؤية أي تغير. وبما أنَّ العقوبات والحرب تسيران كتفاً بكتف، فإنَّ فشل هذه السياسات يمكن أن يؤدي إلى دعوات للتدخل العسكري، مثلما رأينا في حالة غزو العراق عام 2003.

واللافت هنا أنه في حالة كوبا الآن، يوجد بعض الساسة الأمريكيين الصقور الذين يقترحون توجيه ضربات جوية للبلاد.

وكما هو الحال مع كوبا، تخضع إيران للعقوبات الأمريكية منذ عقود، وهي العقوبات التي لم تترك أي أثر يذكر على الحكومة والطبقة السياسية الحاكمة بينما يعاني ملايين الناس العاديين من نتائجها. وتستمر سياسة العقوبات الأمريكية في التعارض مع قيم حقوق الإنسان والتعاون الدولي التي يُفتَرَض أنَّها تؤيدها.

ومع أنَّ إيران جلست على طاولة التفاوض مع الولايات المتحدة في الاتفاق النووي لعام 2015، سرعان ما عـادت الولايات المتحدة في عهد ترامب إلى استراتيجية الضغط فقط المألوفة أكثر بالنسبة لها. فقد انسحب ترامب بصورة أحادية من الاتفاق النووي الذي كان سلفه باراك أوباما قد تتوصل إليه مع إيران والقوى الكبرى كبريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا والصين.

ومجدداً، أدَّت هذه السياسة إلى زيادة التوترات ودفعت الولايات المتحدة إلى حافة الحرب مع إيـران. وفي حين كان الرئيس بايدن منتقداً شرساً لسياسة ترامب تجاه إيران وتعهَّد باستعادة الاتفاق النووي حين كان مرشحاً، لم تتخذ إدارتـه بعد خطوات ملموسة للعودة إلى الاتفاق أو ترفع العقوبات التي اعترف بايدن نفسه أنَّها تعيق قدرة إيران عن مكافحة الجائحة.

وعلى الرغم من عودة الإيرانيين والأمريكيين إلى طاولة المفاوضات، وإن بطريقة غير مباشرة، في فيينا منذ أبريل/ نيسان الماضي، وبمشاركة باقي أطراف الاتفاق النووي، إلا أن إعادة إحياء ذلك الاتفاق لا تبدو وشيكة، بسبب رغبة الإيرانيين في تأجيلها لحين تولي إبراهيم رئيسي –الرئيس المنتخب – مهامه رسمياً مع انتهاء ولاية الرئيس الحالي حسن روحاني رسمياً يوم 5 أغسطس/آب المقبل.

لماذا الحرب الاقتصادية أكثر تدميراً؟

ويرى كثير من المراقبين أن السياسات الأمريكية قد عززت التوجهات الإيرانية وأذنت بمجيء إدارة في طهران أقل رغبة في الانخراط مع الولايات المتحدة، بدلاً من تسهيل التعاون.

ومجدداً، دعم المجتمع الدولي الاتفاق النووي وحاول إنقاذه، في حين استعرضت الولايات المتحدة قوتها التي لا تُضاهى كي تمنع بصورة أحادية رفع أي عقوبات عن إيـران وتدمير اقتصادها، وهو ما دفع ملايين الإيرانيين إلى الفقر. وكون الولايات المتحدة زادت العقوبات خلال جائحة، وكون إدارة بايدن لم ترفع العقوبات بعد ستة أشهر من توليها الحكم، هو نقطة اختلاف أخرى مع المجتمع الدولي.

لقد نشأت فكرة إقامة مجتمع الدولي عقب الحرب العالمية الثانية وكان هدفها الأساسي هو حل الصراعات ومنع ويلات الحرب. وهكذا، فإنَّ إنهاء الحروب الأبدية هو مشروع عالمي تلعب الولايات المتحدة فيه دوراً بالغ الأهمية.

ومع ذلك، يمكن رؤية الرفض المتعنت لتعديل السياسة الأمريكية في إصرار الولايات المتحدة على استخدام القوة العسكرية والاقتصادية لإجبار الدول الأخرى على الخضوع بدلاً التعاون.

لكن يتعين على الولايات المتحدة إدراك أنَّه من المستحيل التمسك بفكرة النظام الدولي المُستنِد إلى القواعد وفي نفس الوقت انتهاك توصياته بصورة أحادية، وأنَّه من المستحيل إنهاء الحروب الأبدية طالما لم نعترف بأنَّ الخنق الاقتصادي هو في الواقع حرب.

إيران واليهود

صاهر اليهود ملوك الفرس فامتزج الدم اليهودي بالفارسي، وكانت "دينارد" زوجة "بختنصر" يهودية، وكانت سبب ردِّ بني إسرائيل إلى بيت المقدس

د. عزمي شافعي

■■ هذه نظرة سريعة على العلاقة القديمة الجديدة بين إيـران وبين اليهود لنفهم جـزءً من الحقيقة بعيدًا عن الأوهـام وعـن العواطف المرتبطة بالشعارات والأماني والأحلام .

أولًا: فارس واليهود قبل مجيء الإسلام:

حـلّ اليهود في بـلاد فـارس منذ أن سباهم «بختنصر»، وازداد عددهم في عهد الإشكانيين، وقـدَّم اليهود أنفسهم منذ القرن الأول الميلادي واعترف بعض ملوك فارس بهم، وقد أنشأوا مدرسة «سورا» المشهورة في أوائل القرن الثالث الميلادي، وصاهـروا ملوك الفرس ومرازبهم فامتزج الدم اليهودي بالفارسي، وكانت «دينارد» زوجة «بختنصر» يهودية، وكانت سبب ردِّ بني إسرائيل إلـى بيت المقدس.

وتأثرت ديانة الفرس باليهودية كما تأثرت بما عند اليهود من تنظيم وسرِّية وتقية، وقد جرى استنساخ هذه الأمور بمختلف الأسماء عبر العصور، واستمر أثر اليهود في معتقدات الفرس في مختلف حقب التاريخ.

ثانيًا: أثر اليهود في نشأة التشيع وانتشاره في فارس بعد مجيء الإسلام:

بعد الحدث الأليم الـذي أودى بحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه راح اليهود والمجوس يدفعون أنصار عليٍّ لقتال بني أمية، ووجدت الدعوات الباطنية فراغًا؛ فأخذت تنشط حتى استفحل أمرُها، وكـان من أهـم هذه الدعوات الباطنية «السبئية».

و«السبئية» نسبة لعبد الله بن سبأ اليهودي الذي نادى بألوهية عليٍّ بن أبي طالب، وقد قال لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أنت، أنت، أنت، يعني أنت الإله فنفاه إلى المدائن، وكان يقول في اليهودية في يوشع بن نون أنه وصيُّ موسى عليهما السلام مثلما قال الإسلام في عليٍّ رضي الله عنه، وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة عليٍّ رضي الله عنه، وزعم أنَّ عليًا حيٌّ لم يمت؛ ففيه الجزء الإلهي، وقال باثني عشر نقيبًا، وقالت السبئية بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد عليٍّ رضي الله عنه، ومن السبئية تشعبت أصناف الغلاة.

وعبد الله بن سبأ يهوديٌّ من اليمن أظهر الإسلام، ونقل ما وجده في الفكر اليهودي إلى التشيع كالقول بالرجعة، وعدم الموت، وملك الأرض، والقدرة على أشياء لا يقدر عليها أحدٌ من الخلق، والعلم بما لا يعلمه أحد، وإثبات البداء والنسيان على الله عز وجل – تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

قال ابن حزم: ثم وليَّ عثمان، وبقي اثني عشر عامًا، وبموته حصل الاختلاف، وابتدأ أمر الروافض، والـذي غـرس بـذرة التشيع هو عبدالله بن سبأ اليهودي، والذي بدأ حركته في أواخر عهد عثمان.

وأكَّد طائفة من الباحثين القدماء والمعاصرين على أنَّ ابن سبأ هو أساس المذهب الشيعي والحجر الأول في بنائه، وقد تواتر ذكره في كتب السنة والشيعة على حدٍّ سواء.

يقول المستشرق الألماني «فلهوزن» إنَ مذهب الشيعة الذي يُنسب إلى عبد الله بن سبأ على أنه مؤسسه إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين.

صورة قديمة ليهود إيرانيين في مدينة همدان

قال ابن حزم: ثم وليَّ عثمان، وبقي اثني عشر عامًا، وبموته حصل الاختلاف، وابتدأ أمر الروافض

واستمرت الأصول اليهودية في نشر التشيع مع السعي في التمكين للمذهب الشيعي، ومن ذلك ما قام به الوزير «يعقوب بن كلس» الذي كان يهوديًا وأسلم حيث حرَّض المعز العبيدي على غزو مصر، وكان من أهم ما قام به «يعقوب بن كلس» في حياة الجامع الأزهر في سنة (378 هـ) أن قام بتعيين 37 فقيهًا ليقوموا بإلقاء الدروس والمحاضرات المنظمة في فقه الشيعة، ورتَّب لهم الأرزاق والجرايات، وأنشأ لهم دارًا مجاورةً لسكناهم، وكان وقتها وزيرًا في عهد الخليفة العبيدي العزيز.

ثالثًا: التحالفات والعلاقات بين إيران واليهود:

1 – العلاقات الدينية بين إيران واليهود:

في القديم اعتبر اليهود أنَّ إيران هي أرض مخلصهم «قورش» من الأسر البابلي.

وفي الحديث توطدت العلاقات الدينية بين إيران واليهود بصورة كبيرة جدًا.

كتب اليهودي بيار سمعان فقال: يتجاوز عدد كنائس اليهود في طهران وحدها (200) مائتي معبد، بينما تتعامل السلطات الإيرانية مع السنة بحذر وتضيِّق عليهم تحت غطاء منع التطرف والإرهاب ولا تسهل بناء المساجد الإضافية.

وتعتبر إيران من الدول الكبرى التي تضم تجمعات يهودية ضخمة خارج (إسرائيل) (30 ألف يهودي) لم يقطعوا تواصلهم مع أقاربهم في الدولة العبرية.

ويحج اليهود إلى إيران لأن فيها جثمان «بنيامين» الأخ الأصغر لنبي الله يوسف عليه السلام الذي باعه إخوته، ويعتبر اليهود أن إيران هي بلد هام في التقليد اليهودي؛ فيها توفي النبي «دانيال» ودفن «شاحبقوق» وفيها ضريح «أسترو مردخاي» وضريح «سوشنوخت» الزوجة اليهودية الوفية للملك «يزدجرد الأول».

ويوجد في فلسطين المحتلة عدد كبير من الحاخامات من أصل إيراني ولهم نفوذ واسع داخل المؤسسات الدينية والعسكرية ويرتبطون بإيران عبر حاخام معبد أصفهان.

2 – العلاقات السياسية بين إيران واليهود:

في عام 1950 اعترفت إيران بـ (إسرائيل) مع تشكيل تحالف استراتيجي بين إيران و(إسرائيل)، وفي عام 1984 أعلن بن جوريون مبدأ تحالف (إسرائيل) مع جيرانها غير العرب كإيران وتركيا لردع العرب.

وتستفيد إيران من يهودها في أمريكا للضغط عبر اللوبي اليهودي على الإدارة الأمريكية، ويشكل اليهود الإيرانيون في أمريكا (12 ألف)، ومنهم رؤوس الحربة في اللوبي اليهودي، ومنهم أعضاء في الكونجرس الأمريكي، كما تستفيد من يهود إيران في أوروبا لإنعاش الاستثمارات الإيرانية؛ إذ يملك هؤلاء شركات نفطية كبرى وأسهمًا في كبرى الشركات الأوروبية.

والاجتماعات مستمرة بين القادة الإيرانيين والحاخامات والزعماء اليهود كما التقى الرئيس الإيراني السابق أحمدي نجاد مع وفد من كبار يهود نيويورك عندما مثل بلاده في مجلس الأمن، وتبادل العناق والهدايا معهم، وبقي فحوى الاجتماع سرًا رغم انتشار صور الاجتماع.

3 - العلاقات الاقتصادية بين إيران واليهود:

ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت أن حجم الاستثمارات (الإسرائيلية) داخل إيران تبلغ 30 مليار دولار سنويًا - رغم شعارات العداء المتبادلة - ، وتقيم 200 شركة (إسرائيلية) علاقات تجارية مع إيران، وأغلبها شركات نفطية تستثمر في قطاع الطاقة.

المستشرق الألماني "فلهوزن": مذهب الشيعة الذي يُنسب إلى عبد الله بن سبأ على أنه مؤسسه إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين

وثبت أن إيران تمنح الشركات (الإسرائيلية) الأفضلية في الاستثمارات داخل إيـران، ومن عام 1967 وحتى 1979 م ثبت أن إيـران كانت تمد (إسرائيل) بالنفط سِرًا.

ومن عام 1980 إلى عام 2001 كانت مباحثات أنبوب «إيـلات - أشكلون» لنقل النفط بـدلًا من استخدام قناة السويس من أجل النكاية بمصر السنية.

4- العلاقات العسكرية بين إيران واليهود:

مـن عـام 1979 إلـى عـام 1988 م اتضح أن (إسرائيل) كانت تصدر السلاح لإيران في الحرب ضد العراق، وجاءت فضيحة «إيران جيت» لتكشف أن إيـران يأتيها السلاح من أمريكا عبر وساطة (إسرائيل) في حربها ضد العراق، وهذا يكشف أن الحرب الإعلامية بين أمريكا و(إسرائيل) من جانب وبين إيران من جانب آخر هي حرب وهمية تخفي وراءها تحالفات شيطانية في مواجهة أهل السنة وبلاد السنة.

قال اليهودي بيار سمعان: ساهمت (إسرائيل) بدعم الجمهورية (الإسـلاميـة) في حربها ضد صدام حسين، ثم استفادت (إسرائيل) من حلفائها للإطاحة بصدام حسين وتدمير القوة العسكرية العراقية، فاتحة بذلك المعبر الصعب لتحقيق حلم المملكة الفارسية وتقسيم العالم العربي السني في أغلبيته، وإنهاكه في نزاعات داخلية تتمحور بمجملها حول النزاع السني الشيعي.

ولا ننسى أن وزير دفاع الاحتلال الإسرائيلي السابق «موشيه كاتساف» هو إيراني من يهود أصفهان، ولا ننسى أن ثلث جيش الاحتلال هم من يهود إيران، وإيران لا تزال تعتبرهم مواطنين إيرانيين.

5 – تعاون منظمة أمل الشيعية في لبنان مع اليهود.

تم إنشاء حركة أمل من قِبل إيران، وقام بإنشائها عدد من تلامذة الخميني على رأسهم موسى الصدر تلميذ وصهر الخميني، والدكتور مصطفى جمران وزير دفاعه، والدكتور صادق طباطبائي ابن أخت موسى الصدر، وقادة أمل كلهم من تلامذة الصدر.

وتـعـاون شيعة أمـل مـع (إسـرائـيـل) حقيقة ثابتة، وتحدثت الصحف ووكالات الأنباء المحلية والعالمية عن هذا التعاون، واعترف به اليهود من خلال أجهزة إعلامهم، واعترف به شيعة أمل من خلال تبادل الاتهامات بينهم.

والفظائع التي ارتكبتها أمل بحق الفلسطينيين الآمنين في مخيماتهم يندى لها الجبين عارًا، وقد تناقلت وكالات الأنباء عمليات ذبح الأشخاص من الأعناق، وقتل المعاقين، وقتل الراقدين في داخل المستشفيات وقتل العاملين، وقامت حركة أمل الشيعية بنسف الملاجيء على الشيوخ والنساء والأطفال.

وتناقلت وكالات الأنباء خبر اغتصاب 25 فتاة فلسطينية من أهالي مخيم صبرا أمام أهالي المخيم، وصدر بيان عن جبهة الإنقاذ الفلسطينية بعد الذي قامت به أمل في المخيمات الفلسطينية في 19 مايو/أيار 1985 وما بعدها، جاء فيه أن المساجد جُرفت وخزانات المياه فجرت، والكهرباء والمياه قطعت، والمواد الغذائية نفدت، والجرحى دون أطباء أو أدوية، والشهداء في الشوارع بسبب حصار حركة أمل واللواء السادس والثامن ومن يساندهم، وأكد بيان الجبهة أن ما جرى في المخيمات حاليًا لم يحدث له مثيل حتى أثناء الاجتياح (الإسرائيلي).

6 – حزب الله اللبناني والعلاقة الوطيدة مع الجانب (الإسرائيلي).

حزب الله هو التيار الخميني داخل حركة أمل، وانشق عنها بقيادة حسين الموسوي، وتسمَّى باسم «حركة أمل الإسلامية»، وتطور فيما بعد إلى «حزب الله» وكان ذلك عام 1982، وتم دعمه من إيران بالمال والسلاح والتدريب.

يقول عبد المنعم شفيق في كتابه «حقيقة المقاومة»: كـان الشيعة أول من سـارع لمساندة الجيش اللبناني «الموارنة» في الاشتباكات التي جرت مع المنظمات الفلسطينية، بل ومساعدة اليهود في ذلك؛ فالموارنة لا يريدون تكثير «السنة» لأجل إنشاء دولتهم النصرانية، واليهود لا يريدون الفلسطينيين في لبنان لئلا يتهدد أمنهم من الشمال، والشيعة لا يريدون كذلك؛ لأنهم يمثلون عائقًا أمام تحقيق وجودهم وكيانهم الذي يسعون من أجله.

وعند الغزو (الإسرائيلي) للبنان عام 1982 م استقبل سكان الجنوب من الشيعة القوات اليهودية بالورد والأرز؛ لفرحتهم بأنهم سوف يخلصونهم من الفلسطينيين.

وبعد توقيع اتفاق الطائف عام 1989م، واتخاذه تسوية للأزمة اللبنانية تضع نهاية للحرب الأهلية خرج «حـزب الله» بعبارات مكتوبة على لافتات في تظاهرةٍ مكتوب عليها : «الوهابيون رجس من عمل الشطان، سننتقم من الوهابيين، لن تمر هذه الجريمة دون عقاب.» وهـذه العبارات المكتوبة تبين الحقد الدفين من الرافضة على أهل السنة.

وفي الخطاب الذي ألقاه حسن نصر الله في بنت جبيل عقب الانسحاب الإسرائيلي، وحضره مائة ألف جنوبي أشار نصر الله إلى أنَّ حزب الله لن يشارك في أيِّ عملٍ عسكريٍّ ضد (إسرائيل) بهدف تحرير فلسطين.!!

وقد تكرس التزام «حزب الله» بضوابط الصراع مع (إسرائيل) في تفاهمي يوليو/تموز 1993 م ، وأبريل/نيسان 1996 م حيث تعهد الحزب بعدم ضرب أهدافٍ (إسرائيلية) داخل فلسطين المحتلة.

وماذا بعد... مما سبق يتضح أن:

- إيران والشيعة في علاقات تاريخية وعقدية وسياسية قوية مع اليهود.
- الحرب الإعلامية بين إيران واليهود هي مجرد حرب كلامية يستخدمها كل منهما في اصطياد ما يقع في طريقهما من المكاسب.
- الخلافات بين إيران واليهود - إذا وُجِدت - إنما هي خلافات المصالح فقط، وأما الدين فليس له موقع في الخلاف بين إيران و(إسرائيل).
- كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، وصحة المنهج هي البداية الصحيحة للوحدة الإسلامية (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)، والشعارات ليست هي التي تبني الدول وليست هي التي تذيب الخلافات.
- التقارب مع الشيعة والاغترار بهم خنجر مسموم لضرب الإسلام في خاصرته.

■ المصادر:

1 - أمل والمخيمات الفلسطينية، عبد الله محمد الغريب.

2 - أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، مصطفى بن محمد بن مصطفى.

3 - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني.

4 - حقيقة المقاومة، عبد المنعم شفيق.

5 - علم اليقين من تاريخ الرافضة المشين، يونس العلي.

6 - مروج الذهب، المسعودي.

7 - وجاء دور المجوس، عبدالله محمد الغريب.

اليمن.. مأرب تطيح بمخططات «إيرلو» والحرس الثوري الإيراني

محمود رأفت

■■ في الوقت الذي كانت تعتقد فيه إيران وقيادة الحرس الثوري الإيراني أن مأرب لقمة سائغة، خصوصا أنها تسعى لإقحام الملف اليمني كورقة ضمن المباحثات النووية مع الغرب، وفي الوقت الذي قاد فيه سفير إيران في صنعاء القائد العسكري الإيراني حسن إيرلو الخطط للهجوم على المحافظة، منيت مليشيا الحوثي بخسائر فادحة.

الحرس الثوري الإيراني أعد العدة لإسقاط مأرب بكل إمكانياته وحشد الآلاف من مليشيا الحوثي لتحقيق هذه الهدف، ميليشيا الحوثي من جانبها أيضا زجت بآلاف الأبرياء المدنين في معركة ليست معركتهم، بل زجت حتى بالفتيان والأطفال، ولكن تلك الحشود تم صدها وهزموا حتى كتابة هذه الكلمات هزيمة منكرة.

واستعاد الجيش اليمني زمام المبادرة حيث تمكن من تحرير واستعادة مواقع عسكرية استراتيجية جنوب مأرب، بعد معارك عسكرية ضارية خاضها ضد المليشيات الحوثية الكسروية الموالية لإيران، كلنه في سبيل ذلك قدم آلاف الشهداء الأبرار.

وخلال الأسابيع الماضية كثفت المليشيا الحوثية هجماتها على محافظة مأرب الغنية بالنفط والغاز وتمكنوا من تحقيق اختراقات، كما حيث سيطروا على مديرية العبدية في مأرب وارتكبوا جرائم حرب، لكن قوات الشرعية اليمنية استعادت زمام المبادرة أخيرا.

من هو إيرلو؟

ولم يعمل إيرلو في السلك الدبلوماسي قط، وهو مدرب مختص على الأسلحة المضادة للطيران، وقام سابقاً بتدريب ميليشيات حزب الله اللبناني، وفي تغريدة على حسابه على تويتر قال حسن إيرلو: "أمريكا الشيطان الأكبر، ولسنا متفائلين بالحديث الأمريكي، وبالتأكيد الإدارة الجديدة لها سياسة مختلفة عن سابقاتها وهي فرض الحضور السياسي والعسكري مباشرة في اليمن، كما حدث في كل من العراق وسوريا".

وكان المتحدث باسم الجيش اليمني العميد عبده مجلي اعتبر أن المهمة الفعلية التي باشرها من وصفه بـ "عضو الحرس الثوري الإيراني حسن إيرلو، هي الإشراف المباشر على بناء مليشيات تدين بالولاء وتنقاد للحرس الإيراني، وتعبث بهوية اليمن لإبعاده عن محيطه العربي".

إيران تنشر الفوضى

بدوره حذر وزير الخارجية اليمني أحمد عوض بن مبارك من الدور الخبيث الذي تلعبه إيران في اليمن والذي يهدد الاستقرار ويقوض أي فرصة للتوصل لتسوية سياسية وسلام شامل وعادل في اليمن.

الحرس الثوري الإيراني أعد العدة لإسقاط مأرب بكل إمكانياته وحشد الآلاف من مليشيا الحوثي لتحقيق هذا الهدف

وأكد بن مبارك أن النظام الإيراني لا توجد لديه رغبة ولا نية حقيقية للتعايش بسلام وأنه ماضٍ في سياسته بتصدير النموذج الإيراني ونشر الفوضى في المنطقة والإقليم، مشيراً إلى تحقيق السلام في اليمن سيظل أمراً بعيد المنال لأن طهران تعد شريكا رئيسيا لجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي تُرتكب في مأرب وفي مديرية العبدية على وجه الخصوص من قبل مليشيات الحوثي التي يدعمها النظام الإيراني ويزودها بمختلف الأسلحة.

من جهته، أكد وزير الدفاع الفريق الركن محمد علي المقدشي، أن مأرب أصبحت اليوم حائط الصد الأول في وجه المد «الصفوي، وما يؤكد ذلك التصريحات الأخيرة لوزير الخارجية الإيراني، والمدعو حسن نصر الله.

كارثة في مأرب

ودعا رئيس الوزراء اليمني، معين عبد الملك، المنظمات الأممية والدولية، إلى مساندة جهود الحكومة والسلطة المحلية بمحافظة مأرب لإغاثة وإنقاذ النازحين والمدنيين الذين يتعرضون لحصار ممنهج وهجمات متكررة بالصواريخ الباليستية والطائرات المسيرة من قبل ميليشيا الحوثيين، فيما حذر وكيل المحافظة الدكتور عبدربه مفتاح، من وقوع كارثة حقيقية داعياً جميع شركاء العمل الإنساني بالمحافظة إلى التحرك العاجل لإنقاذ حياة آلاف الأسر من النازحين الجدد الذين شردتهم مليشيات الحوثي الإرهابية.

والحقيقة أن مأرب اليوم بحاجة لهبة عربية إسلامية لحمايتها من الحوثيين، هبة رسمية وإعلامية وميدانية، فمأرب معقل قوات الشرعية اليمنية، وصمام أمان وحدة اليمن، وتضم وزارة الدفاع اليمنية، وهي غنية بالنفط والغاز، وكذلك تضم محطة الغاز التي كانت قبل الحرب تغذي معظم محافظات اليمن بالتيار الكهربائي، ولهذا يستميت الحوثي ومن خلفه إيران والحرس الثوري الإيراني للسيطرة عليها، لأن السيطرة عليها سيعني نجاح مخططات إيران في اليمن، وبالتالي تحول اليمن غلى قاعدة إيرانية ستستهدف لا محالة بعدها الجزيرة العربية.

لذا فمعركة مأرب مصيرية لليمن والعرب والمسلمين جميعا وهي بوابة لتحقيق النصر حتى استكمال استعادة الدولة اليمنية، وهزيمة القوات الحكومية فيها سيعني تغيير المعادلة الإقليمية الحالية بشكل كامل لصالح إيران.

بالوقائع..
إيران جعلت «الاتفاق النووي» حبراً على ورق

مروان محمود

■■ دأب النظام الإيراني على إعلان التزامه التام بـ «الاتفاق النووي» الموقّع مع الولايات المتحدة والقوى الكبرى عام 2015، والذي جاء بعد مفاوضات طويلة استمرت قرابة 10 سنوات، إلى أن توصلت القوى الدولية وإيران إلى الاتفاق الذي أُطلق عليه «خطة العمل الشاملة المشتركة JCPOA".

ورغم هذا الإعلان الإيراني، إلا أن طهران قامت بأنشطة علنية وسرية من شأنها رفع نسبة تخصيب اليورانيوم إلى 60%، للوصول إلى النسبة اللازمة لصناعة القنبلة النووية، في انتهاك صريح للالتزامات المقررة بموجب هذا الاتفاق، الذي جعلته إيران حبراً على ورق.

وبعد إعلان الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي بشكل رسمي في 8 مايو/ آيار 2018، بدأت إيران في انتهاك بنود الاتفاق النووي الذي وقعت عليه مع 5 دول أخرى بجانب الولايات المتحدة (مجموعة 5+1). وبالرغم من أن الخمسة دول الأخرى الموقعة على الاتفاق أكدت تمسكها به، إلا أن إيران استمرت بالتصعيد، وأكدت أنها لم تعد ملزمة بأي قيد من القيود العملياتية التي تشمل مستوى تخصيب اليورانيوم ونسبة التخصيب وحجم المواد المخصبة وأعداد أجهزة الطرد المركزي والأبحاث والتنمية.

انسحاب ترامب جاء بسبب سعي النظام الإيراني "للموت والدمار" على حد وصفه، وجاءت هذه الخطوة بهدف تحييد "التأثير المزعزع للاستقرار" للحكومة الإيرانية، ولا سيما نشاطات الحرس الثوري الإيراني في المنطقة، ومن جانبها اتخذت إيران خطوات سريعة إثر انسحاب الولايات المتحدة، رغماً عن محاولات التهدئة التي سعت إليها الأطراف الأخرى.

وإليكم تفاصيل ما حدث منذ انسحاب ترامب، من الاتفاق النووي:

● 21 مايو/آيار 2018: عرض وزير الخارجية الأمريكية السابق مايك بومبيو، استراتيجية بلاده الجديدة للتعامل مع إيران بعد انسحاب واشنطن من الاتفاق النووي، شملت وعوداً وتهديدات تنص على ممارسة ضغوط اقتصادية غير مسبوقة على النظام الإيراني، والعمل مع الحلفاء لردع العدوان الإيراني، كما أكد بومبيو، أن بلاده مستعدة لإبرام صفقة جديدة، إذا حققت إيران 12 شرطاً ذكرهم، بما في ذلك وقف تخصيب اليورانيوم والامتناع عن إطلاق الصواريخ الباليستية وتطوير الأنظمة الخاصة بصناعات الأسلحة النووية، والسماح للوكالة الدولية للطاقة الذرية بشكل دائم وفي أي وقت بزيارة وتفتيش جميع المواقع في جميع أنحاء إيران، وفي المقابل ستكون الولايات المتحدة على استعداد لإيقاف العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران، فضلاً عن إعادة تأسيس

دونالد ترامب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة:
قادة إيران يزرعون «الفوضى والموت والدمار»

العلاقات الدبلوماسية والتجارية بشكل كامل.

● 6 يونيو/ حزيران 2018: افتتحت إيران منشأة جديدة لإنتاج أجهزة الطرد المركزي، وقال سفير إيران لدى الوكالة الدولية للطاقة الذرية إن قرار فتح المنشأة هو «خطوة استباقية لسيناريو محتمل» في إشارة منه إلى إلغاء العمل بالاتفاق النووي بشكل تام، كما أكد أن إيران لن تقوم بأي نشاط يتعارض مع الاتفاق في هذا الوقت. وبالتزامن مع ذلك، اتخذت المفوضية الأوروبية خطوة إضافية لإيقاف تطبيق العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة على إيران، خارج الحدود الإقليمية، بالإضافة إلى جعل إيران مؤهلة للنشاطات الاستثمارية من قبل بنك الاستثمار الأوروبي.

● 18 يوليو/ تموز 2018: أعلن رئيس هيئة الطاقة الذرية الإيرانية علي أكبر صالحي، أن إيران قامت ببناء مصنع جديد لإنتاج أجزاء الدوران اللازمة لتشغيل ما يصل إلى 60 وحدة طرد مركزي يومياً، وأكد أن المصنع بحد ذاته لا يمثل انتهاكاً لبنود الاتفاق.

● 7 أغسطس/آب 2018: وجه ترامب تحذيراً قوياً لشركات الولايات المتحدة التجاريين من التعامل مع إيران بعد إعادة فرض العقوبات عليها، وقال إن «كل من يتعامل تجارياً مع إيران لن يتعامل تجارياً مع الولايات المتحدة». وبالتزامن مع تصريحات ترامب، دخلت بعض من العقوبات التي فرضها على إيران قيد التنفيذ بما في ذلك الإجراءات التي تقيد حصول إيران على الدولار الأمريكي وتجارة الذهب والمعادل الثمينة والألمونيوم والفحم وغيره، كما تم إلغاء التراخيص التي تسمح بتصدير بعض المواد الغذائية إلى الولايات المتحدة، والتراخيص التي تسمح لإيران بشراء الطائرات التجارية.

● 16 أغسطس/ آب 2018: أعلن وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو، أن بلاده شكلت «فريق عمل حول إيران» بإدارة المبعوث الأمريكي الخاص لإيران براين هوك، في إجراء يهدف إلى فرض «احترام العقوبات الاقتصادية الأمريكية ضد طهران» وإلى دفع النظام الإيراني إلى «تغيير سلوكه»، كما أكد هوك، من جانبه أن بلاده تهدف إلى «خفض واردات النفط الإيراني لكل بلد إلى الصفر بحلول الرابع من نوفمبر/ تشرين الثاني».

● 25 سبتمبر/ أيلول 2018: تحدث ترامب في الجمعية العامة للأمم المتحدة قائلاً إن «قادة إيران يزرعون الفوضى والموت والدمار»، وأكد أن العديد من الدول في الشرق الأوسط أيدت قراره بالانسحاب من الاتفاق وإعادة فرض العقوبات على إيران، مؤكداً أن العقوبات الإضافية ستستأنف في الخامس من نوفمبر/ تشرين الثاني وسيتبعها المزيد، كما وجه طلباً إلى جميع الدول بعزل النظام الإيراني طالما استمر عدوانه.

● 26 سبتمبر/ أيلول 2018: ندد ترامب في كلمة ألقاها أمام مجلس الأمن الدولي بسلوك إيران الذي «يزداد عدائية» على حد وصفه، وأكد أن العقوبات ستطبق على شكل كامل وستليها عقوبات أخرى «أكثر شدة من أي وقت مضى للتصدي لمجمل سلوك إيران العدائي».

● 3 أكتوبر/ تشرين الأول 2018: أمرت محكمة العدل الدولية الولايات المتحدة بوقف العقوبات على السلع الإنسانية المفروضة على إيران وعلى الطيران المدني، ومن جانبها نددت الولايات المتحدة بقرار المحكمة واصفة إياها بأنها «مسيسة وغير فعالة» وأعلنت أنها ستراجع كافة الاتفاقية الدولية التي قد تعرضها لقرارات ملزمة من جانب محكمة العدل.

● 5 نوفمبر/ تشرين الثاني 2018: دخلت العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة على إيران حيز التنفيذ، وشملت مختلف القطاعات الاقتصادية والمالية والصناعية وعلى رأسها قطاع النفط الذي يعتبر مصدر الدخل الأساسي للعملات الصعبة التي تحتاجها إيران.

● 26-27 نوفمبر/ تشرين الثاني 2018: حذر رئيس منظمة الطاقة الذرية الإيرانية علي أكبر صالحي، من أن صبر طهران «ينفد» بشأن تعهدات التكتل بمواصلة تجارة النفط، رغم العقوبات الأمريكية، وأكد أن بلاده يمكن أن تستأنف تخصيب اليورانيوم إلى مستوى 20% إذا لم تتحصل على المنفعة الاقتصادية من الاتفاق النووي قائلاً «إذا لم نتمكن من بيع نفطنا أو ننتفع بالمعاملات المالية فلا أعتقد أن الحفاظ على الاتفاق سيفيدنا بذلك».

● 12 ديسمبر/ كانون الأول 2018: عقد مجلس الأمن الدولي اجتماعاً لبحث الملف النووي الإيراني بالإضافة لأنشطة إيران في المنطقة، وشدد المشاركون فيه على ضرورة وقف أنشطة إيران «المزعزعة للاستقرار في المنطقة»، بما في ذلك دعم الجماعات الإرهابية مثل ميليشيا الحوثي في اليمن، كما تواصل الأمم المتحدة جمع المعلومات والتحقيق في زيارة قام بها قائد فيلق القدس في الحرس الثوري قاسم سليماني، إلى العراق، كما دعا ممثل الاتحاد الأوروبي إيران إلى وقف «كل تجاربها الصاروخية المزعزعة للاستقرار في المنطقة».

2019:

● 29 يناير/ كانون الثاني 2019: أكدت الاستخبارات الأمريكية أن إيران لا تقوم حالياً بأنشطة «رئيسية» لتطوير أسلحة نووية، كما أن استمرارها في الالتزام ببنود الاتفاق النووي أضاف إلى الوقت الذي تحتاجه لتخصيب اليورانيوم بهدف صناعة سلاح نووي من بضعة أشهر إلى سنة.

● 30 يناير/ كانون الثاني 2019: أكد المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية يوكيا أمانو مجدداً التزام إيران بالتزاماتها المتعلقة بالأسلحة النووية بموجب الاتفاق.

● 22 مارس/ آذار 2019: سمت وزارة الخزانة الأمريكية 31 كياناً وفرداً إيرانياً قاموا بالمشاركة فيما سبق في برنامج الأسلحة النووية الإيرانية، بموجب أمر تنفيذي يستهدف ناشري أسلحة الدمار الشامل.

● 9 أبريل/ نيسان 2019: هدد الرئيس الإيراني السابق حسن روحاني أن بلاده ستقوم بإنتاج أجهزة طرد مركزي متطورة إذا واصلت أمريكا الضغط على طهران مشيراً إلى تصنيف واشنطن فيلق القدس على أنه منظمة إرهابية قائلاً «إن كان هدف الولايات المتحدة من وضع عقوبات ضد إيران هو الحد من القدرات العسكرية الإيرانية، فيجب أن يعلموا أننا توصلنا في العام الحالي إلى صواريخ وأسلحة لا يمكنهم أن يتخيلوها» ودافع عن الحرس الثوري قائلاً إنه يتصدى دائماً

للإرهابيين في الشرق الأوسط من العراق إلى سوريا واصفاً إياه بأنه «حامي الإيرانيين».

● 22 أبريل/ نيسان 2019: أعلن وزير الخارجية الأمريكية مايك بومبيو، أن الولايات المتحدة لن تصدر أي إعفاءات إضافية للعقوبات على الدول لمواصلة استيراد النفط الإيراني ابتداءً من 2 مايو/ آيار.

● 8 مايو/ آيار 2019: أعلن روحاني أن بلاده ستقلص الالتزام بالقيود المفروضة على برنامجها النووي، قائلاً إن بلاده ستواصل تخصيب مخزون اليورانيوم في الداخل بدلاً من بيعه إلى الخارج، وهدد أيضاً باستئناف إنتاج يورانيوم عالي التخصيب خلال 60 يوم، كما قال إن بلاده يمكن أن تستأنف بناء مفاعل آراك، إذا لم يتم تخفيف العقوبات المفروضة عليها. ومن جانبه علق وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو، أن إيران «تعمدت الغموض في قرارها مشيراً إلى أن الولايات المتحدة ستقرر الإجراء الذي يتعين اتخاذه بمجرد أن يصبح الموقف أكثر وضوحاً»، كما أعلنت واشنطن عن عقوبات جديدة تستهدف صادرات المعادن الصناعية الإيرانية.

● 20 مايو/ آيار 2019: أعلنت إيران أنها ستضاعف تخصيب اليورانيوم بمقدار أربعة أضعاف في مفاعل ناتانز وأكدت أنها ستتجاوز قريباً حد الـ300 كيلوجرام من اليورانيوم المخصب إلى 3.67، ووجهت تهديدات إلى الدول الأوروبية الأخرى قائلة « «إذا كانوا يريدون منا الحفاظ على هذا الحد، فسيكون من الأفضل للدول الأوروبية اتخاذ التدابير اللازمة في أقرب وقت ممكن»، في إشارة إلى الإجراءات التي تتخذها واشنطن ضد إيران. كما ندد وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف بتعليقات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن إيران وحذره من توجيه أي تهديد لبلاده.

● 11 يونيو/ حزيران 2019: صرح السفير الأمريكي لدى الوكالة الدولية للطاقة الذرية جاكي ولكون أن إيران تنتهك بشكل واضح الصفقة، مستشهداً بعدد أجهزة الطرد المركزي من طراز IR-6 التي قامت إيران بتركيبها.

● 17 يونيو/ حزيران 2019: أعلنت إيران أنها ستتجاوز حجم المخزون المسموح لها به من اليورانيوم المخصب بموجب الاتفاق النووي وهو 300 كيلوجرام خلال عشرة أيام، وقالت وكالة الطاقة النووية الإيرانية إنها ضاعفت بمقدار أربعة أمثال انتاجها من اليورانيوم المخصب، الذي يستخدم في إعداد وقود للمفاعلات النووية وقد يستخدم في صناعة الأسلحة النووية، ولكنها أضافت أنه «ما زال هنالك وقت» أمام الدول الأوروبية لاتخاذ إجراء لحماية إيران من العقوبات التي أعادت الولايات المتحدة فرضها.

● 24 يونيو/ حزيران 2019: أمر ترامب، بفرض عقوبات مالية قاسية جديدة على إيران شملت المرشد الأعلى خامنئي هذه المرة، معتبراً أنه يتحمل المسؤولية الكاملة للنشاطات الإيرانية المزعزعة للاستقرار في المنطقة.

● 30 أغسطس/ آب 2019: أكدت الوكالة الدولية للطاقة الذرية في تقريرها أن إيران واصلت تجاوز حدود الاتفاق النووي بشأن مخزون اليورانيوم المخصب بأكثر من 38.8 كيلوجرام من المسموح به، كما واصلت التخصيب إلى مستوى يفوق الحد المتفق إليه بنسبة تصل إلى 4.5%، إلا أنها ما زال تتيح لمفتشي الوكالة بالوصول إلى جميع المواقع بشكل دائم.

● 3 سبتمبر/ أيلول 2019: فرضت وزارة الخزانة الأمريكية عقوبات على وكالة الفضاء الإيرانية ومركز ومعهد بحثيين إيرانيين، قائلة إن إيران تستخدمها لتطوير برنامجها للصواريخ الباليستية.

● 5 سبتمبر/ أيلول 2019: أعلن الرئيس الإيراني حسن روحاني أن البرنامج النووي لبلاده سوف يكون «بلا حدود» عند الإعلان المرحلة الثالثة للانسحاب من الاتفاق النووي، مؤكداً أن جميع الانشطة ستكون تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وجاء ذلك بعد أن فرضت واشنطن عقوبات جديدة على شبكة نفطية إيرانية تابعة لفيلق القدس وحزب الله.

الحلقة الثالثة

دراسة للباحث العراقي فاروق الظفيري:

«طريق السبايا».. بين الواقع التاريخي والتوظيف السياسي والطائفي

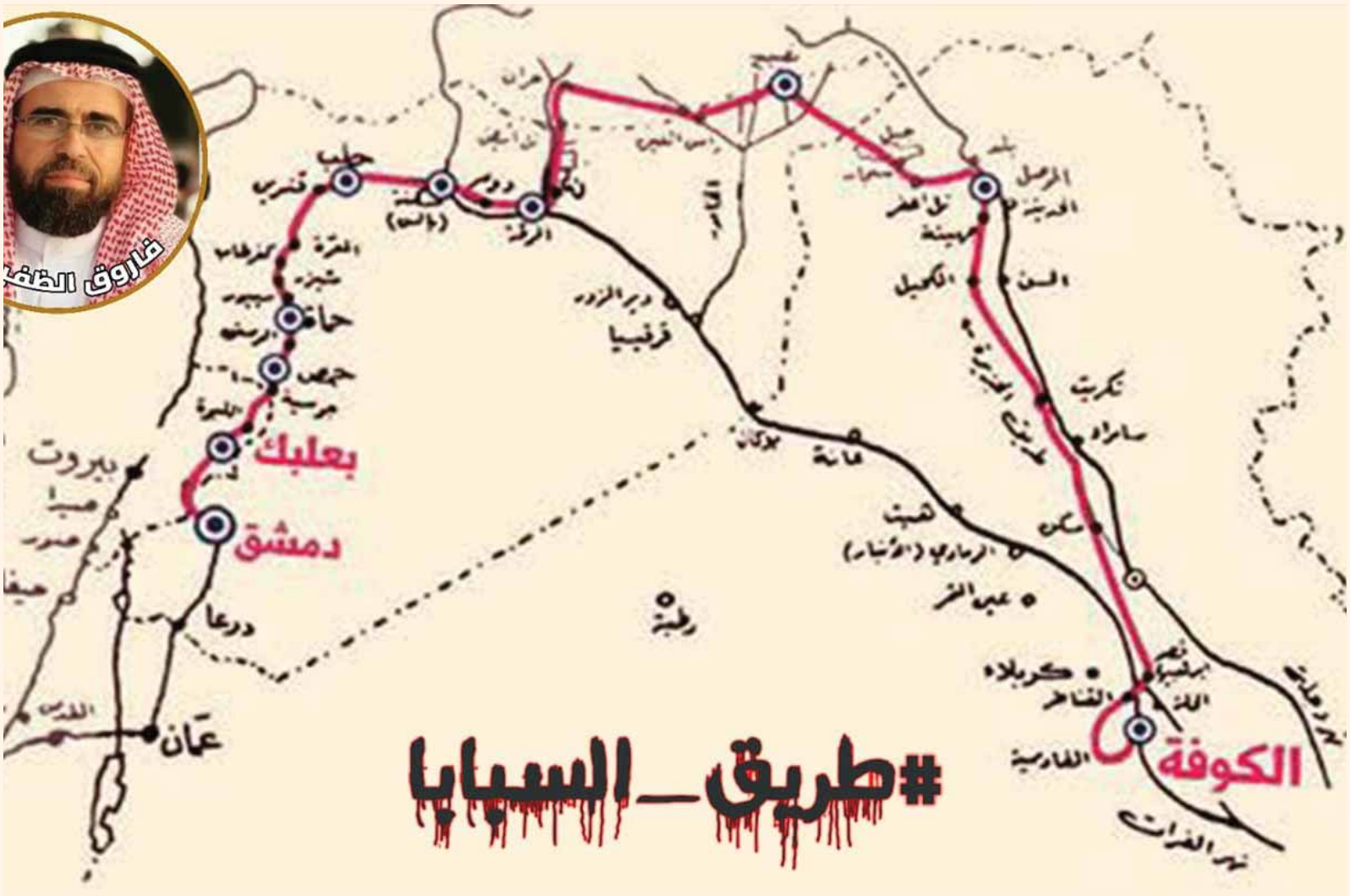

مشاهد ومقامات وأضرحة على (طريق السبايا) المثار اليوم وبيان حقيقتها

من المعروف أنه كثر بناء المشاهد والمراقد والأبنية ونسبتها إلى آل البيت وشهدائهم في البلدان الإسلامية إحياءً لذكراهم وظهور هذا العدد الكبير من المواضع المنسوبة إلى آل البيت رضي الله عنهم في تلك الفترة، يرجع بالدرجة الأولى إلى ظاهرة انتشار التشيع ـ بمفهومه العام ـ حيث رأينا قيام دول أو دويلات شيعية في المنطقة الممتدة من العراق إلى مصر، كالدولة الفاطمية، والدولة البويهية، والدولة الحمدانية، وبني مرداس، وبني مزيد إضافة إلى بعض المتصوفة المحسوبين على أهل السنة ممن ينحلون نفس طريق الشيعة في تعظيم المراقد والمشاهد وينسبون طرقهم الصوفية لآل البيت رضي الله عنهم، بل أن تعظيم القبور موجود عند كل الملل والنحل، لذلك نرى على الدوام هناك اختراعات لمراقد ومشاهد تنسب لآل البيت رضوان الله تعالى عليهم، وأن اهتمام الشيعة بالمشاهد والمزارات الموجودة إضافة الى الاستمرار باختراع مقامات جديدة في عدة أماكن له مقاصد طائفية وسياسية وديموغرافية وتجارية كما سنرى.

وممن اهتم بذلك ونشر المراقد والمشاهد والمقامات في الديار السنية في الموصل وما حولها المدعو بدر الدين لؤلؤ الملقب بالملك الرحيم حاكم الموصل الأتابكي.

المقامات والأضرحة: في الطريق السلطاني

المقامات والمشاهد التي سنتطرّق إليها في بحثنا هذا هي المذكورة في هذا الطريق الذي تزعم العتبة الحسينية سلوكه من قبل الركب الحسيني والذي يطلق عليه الشيعة «طريق السبايا».

اعتمد الشيعة في تثبيت هذه المزارات والمقامات بصورة كبيرة على كتاب الإشارات للهروي كما ذكر الشيخ المهاجر في كتابه موكب الأحزان مما نقلناه قبل قليل.

والمقامات والقبور التي سنتطرق إليها على نوعين:

1 - نموذج مقام أو قبر لشخصية لم يثبت وجودها تاريخيًا أصلًا.

2 - نموذج مقام أو قبر لشخصية موجودة لكن لم يثبت دفنها حيث بُني مقامها.

القسم الأول: المقامات والمشاهد في العراق

بدر الدين لؤلؤ الملقب بالملك الرحيم حاكم الموصل الأتابكي هو من اهتم بنشر المراقد والمشاهد والمقامات في الديار السنية في الموصل وما حولها

● مشاهد تكريت

يدّعون أن فيها مشهدًا لعلي رضي الله عنه يذكره الهروي في كتابه الإشارات (بها مشهد علي بن أبى طالب رضى الله عنه، وبها قبر يزعمون أنه قبر علي بن أبى طالب رضى الله عنه والله أعلم) (1)

هكذا يذكره الهروي بقوله (يزعمون) وهذا أمر مهم جدًا أن الهروي ينقل ما رآه وليس ينقل الحقيقة العلمية التاريخية على صحة هذه المقامات من عدمها، فالرجل مجرد رحالة ينقل ما يراه وليس محققًا يتابع صحة وجود هذا المقام تاريخيًا، ولذلك نراه في غالب ذكره لهذه المشاهد ينهيها بعبارات (يزعمون يقولون والله أعلم) وهذه العبارات في المرويات لا تجعلها أدلة يستدل بها في التحقيق التاريخي العلمي للإثبات كما سنرى في الكلام عن المشهد المزعوم للمزعومة خولة بنت الحسين رضي الله عنه والسقط (الطرح) المزعوم. وهذا الحال مع غالب المؤرخين الذين يذكرون هذه القبور والمقامات.

والهروي لا يصحح الخطأ الظاهر بزعمهم أن في تكريت قبرًا لعلي رضي الله عنه وهو يعلم يقينًا أن عليًا رضي الله عنه قتل في مسجد الكوفة ودفن هناك في منطقة ما وهو لم يدخل تكريت في حياته، فكيف لا يصحح هذه المعلومة الباطلة مثلما فعل في تصحيح غيرها ويكتفي بقوله يزعمون ذلك!

ويذكرون في كتبهم أن الركب مر من أمام تكريت فخرج أهلها مستبشرين فرحين لمقتل الحسين رضي الله عنه ولاستقبال جيش يزيد.

ينقل الطريحي، عن مسلم الجصّاص قوله: (فلما وصلوا إلى تكريت أنفذوا إلى صاحب البلد أن تلقّانا (كذا) فإنّ معنا رأس الحسين وسباياه! فلما أخبرهم الرسول بذلك نُشرت الأعلام، وخرجت الغَلمة يتلقّونهم! فقالت النصارى: ما هذا؟ فقالوا: رأس الحسين! فقالوا: هذا رأس ابن بنت نبيّكم؟!قالوا: نعم.

قال: فعظم ذلك عليهم، وصعدوا إلى بِيَعهم وضربوا النواقيس تعظيمًا لله ربّ العالمين! وقالوا: اللّهم، إنّا إليك بُراء ممّا صنع هؤلاء الظالمون) (2)

وقال القندوزي: (فلما وصلوا إلى بلد تكريت نُشرت الأعلام، وخرج الناس بالفرح والسرور! فقالت النصارى للجيش: إنّا بُراء ممّا تصنعون أيّها الظالمون! فإنّكم قتلتم ابن بنت نبيّكم، وجعلتم أهل بيته أُسارى) (3)

هكذا ينشرون هذه الروايات الفاسدة ليبينوا أن النصارى حزنت على مقتل الحسين رضي الله عنه والمسلمون لم يحزنوا ولذلك يحملون الأمة مقتله ويلعنونها كما جاء في دعاء الزيارة بقولهم (لعن الله أمة قتلتك، لعن الله أمة ظلمتك، لعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور والبدعة عليكم أهل البيت.) (4)

لذلك هؤلاء حاقدون على تكريت إلى اليوم بسبب هذه الروايات المكذوبة والتي تزرع الحقد والضغينة في النفوس، حتى نعرف ماذا تفعل هذه الروايات المكذوبة في نشر الحقد والطائفية في قلوب الشيعة على أهل تلك المدن. ما رأيناه اليوم على أرض الواقع من الميليشيات الطائفية الإرهابية الموالية لإيران مما تشيب له الولدان من الجرائم التي فعلوها بتلك المناطق عندما تمكنوا منها. كل ذلك بسبب هذه الروايات التاريخية المكذوبة الخبيثة التي أوغرت صدور الشيعة بالشحن الطائفي والحقد.

اسمعوا إلى هذا المقطع المصور للمعمم الطائفي صلاح الطفيلي كيف يحرض على أهل تكريت (5)

مشاهد الموصل

وهي مدينة في شمال «العراق» اليوم على شاطئ نهر دجلة، تبعدُ عن «الكوفة» حوالي 575 كلم.

بدر الدين لؤلؤ

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء:

الملك الرحيم، السلطان بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ الأرمني النوري الأتابكي مملوك السلطان نور الدين أرسلان شاه ابن السلطان عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن أقسنقر صاحب الموصل.

كان من أعز مماليك نور الدين عليه، وصيره أستاذ داره وأمره، فلما توفي تملك ابنه القاهر، وفي سنة وفاة الملك العادل سلطن القاهر عز الدين مسعود ولده ومات رحمه الله، فنهض لؤلؤ بتدبير المملكة، والصبي وأخوه صورة، وهما ابنا بنت مظفر الدنى صاحب اربل، أقامهما لؤلؤ واحدًا بعد واحد، ثم تسلطن هو في سنة ثلاثين وست مئة.

وكان بطلًا شجاعًا حازمًا مدبرًا سائسًا جبارًا ظلومًا، ومع هذا فكان محببًا إلى الرعية، فيه كرم ورئاسة، وكان من أحسن الرجال شكلًا، وكان يبذل للقصاد ويداري ويتحرز ويصانع التتار وملوك الإسلام، وكان عظيم الهيبة خليقًا للإمارة، قتل عدة أمراء وقطع وشنق وهذب ممالك الجزيرة، وكان الناس يتغالون ويسمونه قضيب الذهب، وكان كثير البحث عن أحوال رعيته. عاش قريبًا من تسعين سنة ووجهه مورد وقامته حسنة، يظنه من يراه كهلًا، وكان يحتفل لعيد الشعانين لبقايا فيه من شعار أهله، فيمد سماطًا عظيمًا إلى الغاية، ويحضر المغاني، وفي غضون ذلك أواني الخمور، فيفرح وينثر الذهب من القلعة، ويتخاطفه الرجال،

وقيل: إنه سار إلى خدمة هولاكو، وتلطف به وقدم تحفا جليلة، منها جوهرة يتيمة، وطلب أن يضعها في أذن هولاكو فاتكأ ففرك أذنه، وأدخل الحلقة في أذنه ثم رجع إلى بلاده متوليًا من قبله، وقرر عليه مالًا يحمله، ثم مات في ثالث شعبان بالموصل سنة سبع وخمسين وست مئة.

فلما مات تملك ولده الملك الصالح إسماعيل وتزوج بابنة هولاكو فأغضبها وأغارها، ونازلت التتار الموصل، واستمر الحصار عشرة أشهر، ثم أخذت، وخرج إليهم الصالح بالأمان فغدرا به، واستباحوا الموصل، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبدر الدين ممن كمل الثمانين، وكان ابنه الصالح إسماعيل قد سار في العام الذي قتل فيه إلى مصر، واستنجد بالمسلمين وأقبل فالتقى العدو بنصيبين فهزمهم، وقتل مقدمهم إيلكا، فتنمر هولاكو، وبعث سنداغو، فنازل الموصل أشهرا، وجرى ما لا يعبر عنه. (6)

وقال الدكتور راغب السرجاني (وخيانة أعظم من بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل، فبدر الدين لؤلؤ لم يكتف بتسهيل مهمة التتار، وبالسماح لهم باستخدام أراضيه للانتقال والعبور، بل أرسل مع التتار فرقة مساعدة تعينهم على عملية «تحرير العراق» ((احتلال العراق)) من حكم الخلافة العباسية!!

ومن الجدير بالذكر أن بدر الدين لؤلؤ قام بهذه

الخيانة وهو يبلغ من العمر ثمانين عاماً! وقيل: مائة! وجدير بالذكر أيضًا أنه مات بعد هذه الخيانة بشهور معدودات، ونسأل الله حسن الخاتمة.) (7)

وقال الدكتور حسن الشميساني: (فمن المعروف أنه كثر بناء مثل هذه المشاهد والأبنية ونسبتها لآل البيت وشهداءهم أحياء لذكراهم وذلك عند سيطرة أو نفوذ للدويلات أو الدول الشيعية المذهب كالدولة الفاطمية، والدولة البويهية، والدولة الحمدانية، والعقيليين وأن حكام هذه الدول الذين كانوا على المذهب الشيعي في الأصل أولئك الذين اعتنقوا هذا المذهب لأغراض سياسية مصطبغة بصبغة مذهبية دينية كبدر الدين لؤلؤ مثلًا شجعوا هذه الظاهرة وتبنوها وقدموا لها بسخاء وحشروا لها أمهر البنائين والصناع لهذا كانت أبنيتهم آية في الروعة والمتانة وانتشرت في كل بقعة امتد سلطانهم إليها هذا وربما تكرر اسم المرقد أو المشهد في أكثر من مكان واحد) (8)

وذكر الأستاذ محمد الشماع مدير أوقاف الموصل سابقا:

(حاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ خان الموصل مرتين هو مملوك أرمني استخدمه حاكم الموصل نور الدين أرسلان بن عز الدين مسعود 589 - 607 هجري 1193 - 1210م.

اتخذه أتابكيا (9) على أولاده ثم وصيًا بعد موته، لكنه خان الأمانة فأخذ يكيد لأولاد نور الدين فأبادهم واحدًا تلو الآخر، ثم استقل بملك الموصل سنة 631 هجرية.

ساعد هولاكو وذلك بفتح الجبهة الشمالية لغزو بغداد من محور الموصل بتمرير جيش هولاكو، وأرسل فرقة من الجيش بزعامة ابنه إسماعيل لمعاونة هولاكو، قام بهذه الخيانة وعمره ثمانون عامًا.

ذهب لمقابلة هولاكو بعد تدمير بغداد واحتلالها وقدم هدايا نفيسة لهولاكو منها جوهرة فريدة علقها بنفسه في أذن هولاكو.

تزوج ابنه إسماعيل من ابنة هولاكو كرد جميل من هولاكو لمساعدته.

حاول بكل جهده نشر التشيع في الموصل، وقام بعمل اللطميات والمواكب وبث مشاهد ومقامات موهومة على أصل مدارس سنية كانت تدرس علوم الشريعة لأهل السنة في الموصل.

برز له معارضًا الشيخ شمس الدين بن الشيخ عدي بن الشيخ صخر الأموي صاحب الطريقة العدوية، وكان هذا عالمًا داهية له أتباع كثير من الكُرد، ولاقت حركته أنصارًا من الجزيرة والشام.

خشي بدر الدين الذي كان يريد نشر التشيع من قوة الشيخ شمس الدين، فحاربه وقبض عليه وخنقه بوتر وقتل أتباعه وصلبهم، ثم أرسل حملة إلى جبل لالش فهدم قبر الشيخ عدي ونبش قبره وأخرج عظامه وأحرقها وشرد أتباعه.

ثم برز له معارضون ضد بطشه وظلمه، منهم الشيخ موفق الدين أبوالعباس أحمد بن يوسف الكواشي صاحب تفسير الكواشي، فأنكر على بدر الدين أفعاله وظلمه وقسوته.

حاول بدر الدين إغراء الناس بالمال والهدايا لشراء ذممهم حتى أطلقوا عليه الملك الرحيم، فانظر إلى تكرار المواقف من المتزلفين عبر الأزمان.

أقام مشاهد موهومة مزعومة لا أصل لقبر واحد فيها فوق مدارس سنية ومشاهد سنية فغير أسماءها لإعطاء المدينة طابعًا غير طابعها (وذكر أسماء عديدة سنذكرها في مكانها).

كل هذه ليس لها شاهد تاريخي واحد من قبر حقيقي، لكنها زرعت لغايات سياسية لاستعطاف الناس واستمالتهم باسم حب آل البيت، وهكذا تلعب السياسة في الدين إذا لم يكن للدين حاميًا يكشف التزوير وألاعيب الساسة.

بعد موت بدر الدين لؤلؤ لم يتحقق شيء مما أراده من تغيير ديمغرافي وفشل فشلًا ذريعًا.

هذه المشاهد التي انتزعها بدر الدين من أهلها وغير معالمها هي التي كانت بداية رجوع الفتنة حين أصدر مجلس النواب قرارًا بتمليكها للوقف الشيعي عام 2005 التي هي أصلًا تاريخيًا مسلوبة من أهل السنة في الموصل أيام بدر الدين لؤلؤ وكانت كما أشرت مدارس دينية لأهل السنة، وبسببها لايزال هناك من يورث نار الفتنة وشق الصفوف وتمزيق اللحمة الوطنية وتعزيز الشحمة الطائفية والله المستعان. (10)

يدّعون أن في تكريت مشهدًا لعلي رضي الله عنه يذكره الهروي في كتابه الإشارات

مشهد النقطة

ذكر الهروي في الإشارات: وكان فيها إلى القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد مشهدٌ يُسمّى «مشهد رأس الحسين». « كان [الرأس] به لمّا عبروا بالسّبي). (11)

قال محمد جعفر الطبسي في كتابه مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة في ج5: (لم يُذكر في واحد من الكُتب التاريخية المعتبرة - على مستوى التحقيق - أنّ أهل البيت عليهم السلام في الطريق من الكوفة إلى الشام قد مرّوا بمدينة الموصل، وقد تجنّب بعض المحققّين والمؤرّخين الخوض في صدد صحّة أو عدم صحّة هذا المدّعى، ومَن ذكرها منهم ذكرها على نحو النقل عمّن ذكرها) فالمرحوم الشيخ عبّاس القمّي - مثلًا - يقول ما نصّه: (وأمّا مشهده بالموصل، فهو كما في روضة الشهداء ما ملخّصه: أنّ القوم لما أرادوا أن يدخلوا الموصل، أرسلوا إلى عامله أن يُهيِّئ لهم الزاد والعلوفة، وأن يُزيِّن لهم البلدة، فاتّفق أهل الموصل أن يُهيِّئوا لهم ما أرادوا، وأن يستدعوا منهم أن لا يدخلوا، بل ينزلون خارجها، ويسيرون من غير أن يدخلوا فيها.. فنزلوا ظاهر البلد على فرسخ منها، ووضعوا الرأس الشريف على صخرة، فقطرت عليها قطرة دم من الرأس المكرّم، فصارت تشعُّ ويغلي منها الدم كلّ سنة في يوم عاشوراء! وكان الناس يجتمعون عندها من الأطراف، ويُقيمون مراسم العزاء والمآتم في كلّ عاشوراء، وبقي هذا إلى أيّام عبد الملك بن مروان فأمر بنقل الحجَر، فلم يُرَ بعد ذلك منه أثر، ولكن بنوا على ذلك المقام قبّة سمّوها مشهد النقط). (12)

فها هو جعفر الطبسي يؤكد أنه لا توجد رواية واحدة صحيحة تثبت مرور قافلة أهل البيت في طريق الموصل وحتى من ذكرها ذكرها على نحو النقل ليتخلص من تبعاتها كما فعل القمي.

مما يبين بطلان كل هذه المقامات المزعومة على الطريق في الموصل وما بعد الموصل.

وذكره الهروي في الإشارات: (وبالموصل مشهد رأس الحسين رضى الله عنه كان به لما عبروا بالسبي، ومشهد الطرح (13)، وبها كف علي بن أبي طالب رضي الله عنه.)(14)، يقول جعفر المهاجر: (وما ندري ما مصير هذا المشهد، وهل هو باقٍ أم إندرس). (15)

هكذا رأينا النفي الصريح لوجود هذا المقام بتأكيد عدم صحة مرور الركب الحسيني من الموصل كما قال الطبسي كذلك لم يثبت مرور علي رضي الله عنه في الموصل فمن أين جاءوا بكف علي هناك، وكذلك ذكر هذا الطرح الموهوم الذي سيتكرر ذكر مقامه في أكثر من مكان رغم أنه شخصية موهومة من الأصل.

ونقل هكذا روايات من قبل الهروي بدون تمحيص تبين يقينًا أنه ليس أهلًا ليكون مصدرًا للتوثيق إن لم يكن تعمد هذا التزوير لميوله الشيعية كما ذكر المهاجر في كتابه موكب الأحزان.

مشهد عبد الرحمن بن علي بن الحسين:

ذكره موقع العتبة الحسينية على الإنترنت خلال كلامها على ما تسميه بطريق السبايا فقالت: إضافة إلى توثيق مرقد السيد عبد الرحمن بن علي بن الحسين (عليهم السلام) في الموصل). (16)

وعند البحث عن عبد الرحمن هذا وجدت بعض المصادر الشيعية تذكره من ضمن أولاد علي بن الحسين (ذكره المفيد في الإرشاد وابن شهر آشوب في المناقب وذكره صاحب الدر وذكره المجلسي في البحار. لكنني لم أجد له أية ترجمة في كتب الشيعة فلا يوجد شيء عن ولادته وأحواله وتاريخ ومكان وفاته. فكيف توثق لدى العتبة الحسينية قبره في الموصل كما تدعي؟

وفوق ذلك قد أثبتنا عدم صحة مرور الركب الحسيني من الموصل بل من الطريق كله كما سنرى. والحقيقة فإن أصل هذا المرقد المزعوم كان مدرسة سنية تحت اسم المدرسة العزية التي كانت تدرس فيها علوم الشرع لأهل السنة في الموصل حولها بدر الدين لؤلؤ الى مشهد لعبد الرحمن.

مشهد عمر بن الحسين رضي الله عنهم في بلط الموصل:

منطقة تقع بين مدينة تلعفر وجبل سنجار، وتسمى أسكي موصل وهي بلدة عراقية تقع 50 كم شمال غرب مدينة الموصل في محافظة نينوى، تقع فيها أطلال موقع بلد الذي يعود للعصر العباسي. تقع أسكي موصل قرب «سد أسكي موصل» والذي يسمى اليوم سد الموصل. اسمها بالتركية (أسكي موصل) يعني الموصل القديمة.

ذكر الهروي في الإشارات: (وبها مقام عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم) وقال (وقرأت على الحجر الذي ظهر في هذا الموضع ما هذه صورته: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا مقام عمر بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، وهو أسير في سنة إحدى وستين، تطوع بعمارته إبراهيم بن القاسم المدائنى في صفر سنة ثلاث ومائة وحبس عليه خان القطن من السوق العتيق ببلط). (17)

وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان: وبها مشهد عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (18)

إن وجود حجر في المكان مكتوب فيه أن هذا مقام لعمر بن الحسين لا يصلح أن يكون دليلًا بدون توثيق حالته التاريخية ووجوده الفعلي. وقد بينا عدم مرور الركب من طريق الموصل أصلًا.

ثم يذكر الهروي قصة خرافية عجيبة فيقول: ورأيت لهذا الموضع آية عظيمة وذلك أنه كان بالموصل رجل فقّاعى زمن (أي أرجله فيها فقاعات مملوءة بالماء. وزمن: أي طويل المرض) يمشى على أعلاق من الخشب ويجر رجليه خلفه كأنهما خرق، وبقي كذلك سنين عدة وزمانًا طويلًا يشاهده الناس، وهو معروف بالموصل، فرأى علي بن أبي طالب رضى الله عنه في منامه وذكر أنه قال له: «امض إلى مشهد ولدي عمر بن الحسين لأظهر فيك آية» فحملوه إلى هذا الموضع فاغتسل من الماء الذي به وزاره وعاد إلى الموصل ماشيًا على قدميه، وسموه (عبد علي)، ولعله في الحياة، والله أعلم، ورأيت لهذا الموضع من الآيات غير هذا بل اختصرت على ذكر هذه الفضيلة.)(19)

قصة خرافية تسقط الدليل وليست تقويته كما يعتقد هؤلاء. وهي رواية تقدح في الهروي نفسه وتسقط موثوقيته، وهذه القصة تشجع على الشرك بالله تعالى بتسمية هذا الرجل المزعوم بـ«عبد علي».

وقد التبس على الخوئي المرجع الشيعي الأعلى السابق للشيعة في معجم رجاله وهو يتحدث عن عمر بن علي بن الحسين الملقب بالأشرف وإذا به ينقل كلام المفيد في الإرشاد

لكنه يقول ما نصه (قال الشيخ المفيد: «وكان عمر بن الحسين عليهما السلام، فاضلًا، جليلًا، ولي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام، وكان ورعًا سخيًا». الإرشاد: باب ذكر إخوته الباقر عليه السلام وطرف من أخبارهم). (20)

وبالرجوع إلى كتاب الإرشاد للمفيد نجده يذكر هذا الكلام لعمر بن علي بن الحسين وليس عمر بن الحسين. فقال في ص151 (حدثنا الحسين بن زيد عن عمه عمر بن علي عن أبيه الحسين عليهما السلام أنه كان يقول.....) وفي ص170 ما نصه (وكان عمر بن علي بن الحسين فاضلًا جليلًا وولي صدقات النبي صلى الله عليه وآله وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام وكان ورعًا سخيًا) وفي نفس الصفحة (عن الحسين بن زيد قال: رأيت عمي عمر بن علي بن الحسين يشرط على من ابتاع صدقات....) وقال في ص171 (عن عبيد الله بن جرير القطان قال: سمعت عمر بن علي بن الحسين يقول.....) ولم يذكر الخوئي في معجمه أي شيء عن شخص اسمه عمر بن الحسين إلا ما ذكره خطأً عندما تكلم عن عمر بن علي بن الحسين وذكر سهوًا عمر بن الحسين. ثم يرجع بعدها ويقول: قال السيد المهنا: عمر الأشرف وهو أخو زيد الشهيد لأمه وأسن منه...) ثم يستمر بالكلام عن عمر الأشرف بن علي بن الحسين.

وهنا التفاتة مهمة: ها هم آل بيت النبوة يسمون أولادهم بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة كما ذكرت الكتب الشيعية بالتفصيل. فهل يوجد عاقل يسمي أولاده وأحفاده بأسماء من يكرههم ويبغضهم ويتزوج منهم ويزوج بناته لهم!

■ المصادر:

1 - الهروي/الإشارات ص64
2 - مُنتخب الطريحي: ص481، وانظر: ناسخ التواريخ: ج3 ص103
3 - القندوزي. ينابيع المودّة: ص351
4 - بحار الأنوار - المجلسي - ج 99 – ص47
5 - المعمم صلاح الطفيلي يحرض على أهل تكريت https://www.youtube.com/watch?v=EDd2bTHNcsE
6 - سير أعلام النبلاء - الذهبي - ج ٢٣ - الصفحة 356 - 357
7 - قصة التتار من البداية الى عين جالوت ص132
8 - سنجار من الفتح الإسلامي الى الفتح العثماني) ص332 - 333
9 - الأتابكة جمع أتابك، وهي كلمة مركبة من لفظين تركيين أتا أي الأب أو المربي، وبك أي الأمير، فيكون معنى الكلمة مربي الأمير، ثم صارت مع الأيام تستعمل لدلالات أخرى بينها الملك والوزير الكبير والأمراء البارزون الذين يمتون بصلة القرابة إلى السلاجقة والأمراء الأقوياء.
كذلك أطلقت في عهد المماليك على من تُعهد إليه إمارة العسكر، ومنه شاع لقب أتابك العسكر.
10 - مقال محمد الشماع / مدير أوقاف الموصل السابق .https://www facebook.com/ALSHAMMAA59/posts/2424498191207998
11 - الإشارات إلى معرفة الزيارات / 70.
12 - الطبسي. مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة ج5 ص199 - 200
13 - قلت: وهذا دليل آخر على بطلان هذه المقامات وأن الركب لم يمر في هذا الطريق حيث سنرى أن موضع الطرح / السِقط سيتكرر في أكثر من مكان لنفس الطرح، بل سيتبين لنا لاحقاً أنه لا وجود لهكذا سِقط في كتب الشيعة أساسا.
14 - الهروي/ الإشارات ص63
15 - جعفر المهاجر. موكب الاحزان ص21
16 - موقع العتبة الحسينية https:// imamhussain.org/news/31581
17 - الهروي/ الإشارات ص62.
18 - ياقوت/ معجم البلدان ج2 ص265
19 - الهروي/ الإشارات ص62.
20 - معجم رجال الحديث / الخوئي طبعة قم ج13 ص47.

العميد فروزنده.. مهد لسيطرة إيران على العراق بفرق الموت والاغتيالات

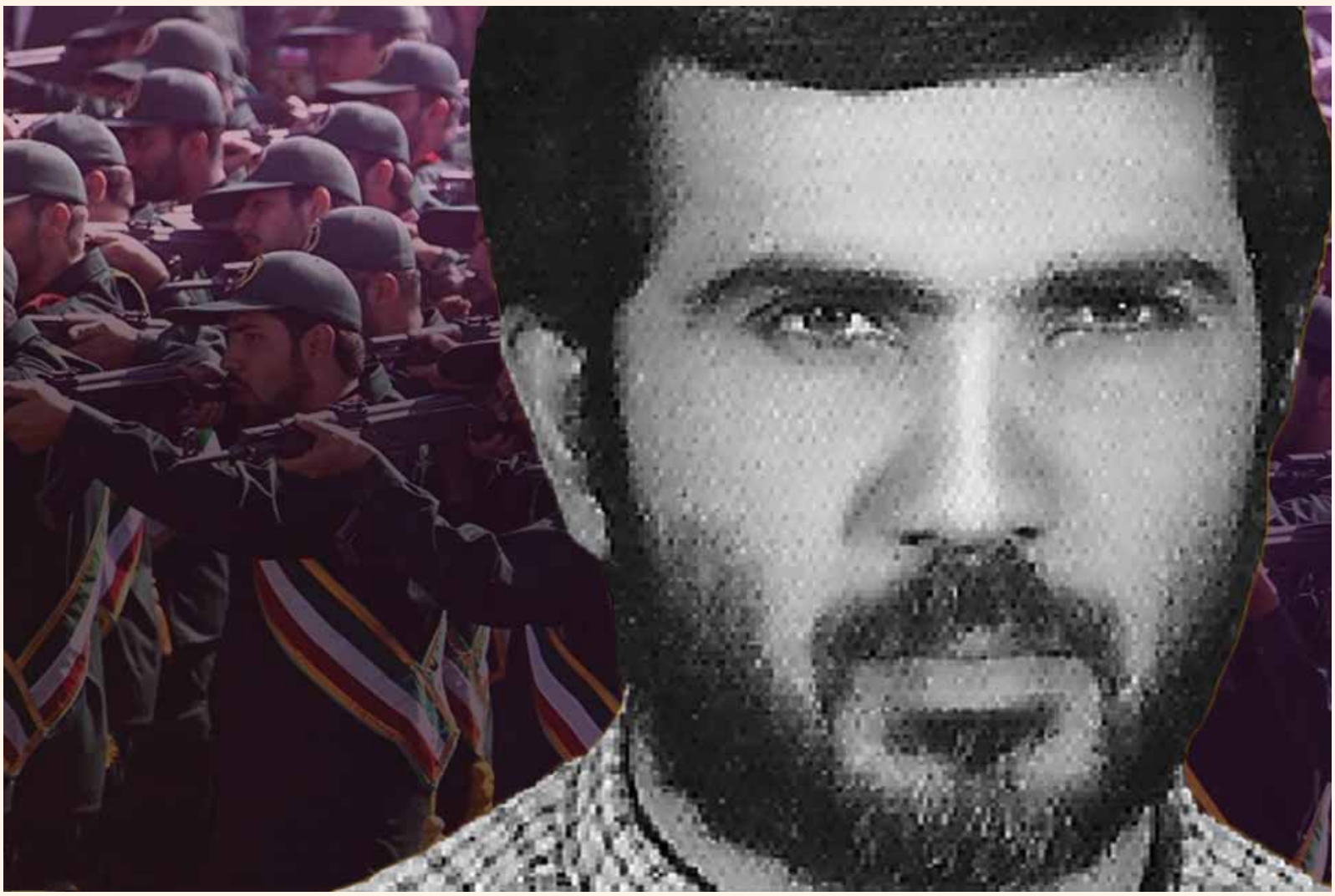

كان ضباط فيلق القدس الإيراني هُم الذين تعقَّبوا بعض العراقيين الذين كانوا يعملون مع التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة وقتلوهم، وطاردوا أولئك الذين يُعتبَرون مُعادين للنفوذ الإيراني عن طريق مجلسٍ من منفِّذي الاغتيالات، وهرَّبوا جواسيس وأموالًا وأسلحة وأسرارًا من وإلى العراق، مستغلين تلك الوسائل في زرع الفوضى في البلاد أثناء الاحتلال الأمريكي.

العميد فروزنده

على مرِّ فترةٍ زمنية في منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، كان أحد هؤلاء الضباط هو العميد أحمد فروزنده، الذي ترقَّى في المناصب حتى أصبح قائداً لفيلق رمضان، الذي يعد جزءًا من فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، بعدما اكتسب خبرةً في مرحلةٍ مبكرة من مسيرته المهنية داخل فيلق رمضان في إدارة بعض عمليات

إسراء حبيب

حرب العصابات أثناء الحرب بين إيران والعراق.

يقول أفشون أوستوفار الباحث في كلية الدراسات العليا البحرية: «مع أنَّ قاسم سليماني كان مهندس هذه الاستراتيجية الأكبر، فإنَّ مساعديه الأقل شهرةً منه هم الذين كانوا يديرون العمليات ويشرفون عليها. وقد كان فروزنده أحد أبرز ضباط فيلق القدس الناشطين في ميدان المعركة في العراق، لكنَّ اسمه لم يكن معروفاً آنذاك».

وتُقدِّم بعض الوثائق -التي رُفِعَت عنها السرية وحصل عليها موقع The Daily Beast الأمريكي بموجب قانون حرية المعلومات- تفاصيل جديدة عن "حملة عنف" قادها فروزنده في العراق أثناء أواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. وتُظهِر الوثائق كيف أنَّ فروزنده وبعض ضباط الحرس الثوري الآخرين نقلوا أسلحةً وأموالاً وجواسيس إلى العراق، وأشرفوا على اغتيال أمريكيين وعراقيين. وتعرض كذلك تلميحاتٍ إلى أنَّ الرجل الذي ساعد إيران على قتل مئات الأمريكيين أثناء حرب العراق ربما لم يتقاعد بالفعل منذ سنوات كما قال سابقاً، لكنَّه استمر في تبادل المشورة مع رئيسه السابق بعد فترة طويلة من انتهاء الحرب.

البداية من الحرب العراقية الإيرانية

كان الخطوات الأولى لفروزنده داخل عالم العمليات السرية في الحرب الإيرانية العراقية قد قوبلت بنجاحٍ متوسط، فيما لم تُحدِث جهود حرب العصابات التي دعمها أي تغييرٍ ملحوظ في الصراع. ولكن بحلول الوقت الذي ظهرت فيه الولايات المتحدة على أعتاب إيران، كان فروزنده قد نفَّذ عمليات حرب عصابات وعمليات سرية عبر الحدود الإيرانية العراقية طوال حوالي 20 عاماً مع بعض الشخصيات والمنظمات نفسها.

تُظهِر الوثائق الأمريكية أنَّ العميد فروزنده وبعض ضباط الحرس الثوري نقلوا أسلحةً وأموالاً وجواسيس إلى العراق وأشرفوا على اغتيال أمريكيين وعراقيين

وفي هذا الصدد، قال دوغ وايز، الضابط السابق بوكالة الاستخبارات المركزية المركزية ورئيس إحدى الفرق الحكومية الأمريكية في بغداد سابقاً، لموقع The Daily Beast متحدثاً عن ضباط فيلق القدس الإيراني: "من الواضح أنهم يتمتعون بشيئين: الأول هو أفضلية التعامل مع العمليات التي تجري بالقرب من أرضهم، والثاني أنَّ هؤلاء الرجال يُجرون عملياتٍ خاصة في المنطقة منذ مرحلة بلوغهم تقريباً، فضلاً عن أنَّهم محاربون قُدامى في الحرب الإيرانية العراقية الوحشية. وهؤلاء الرجال هم أعداء يستحقون الاعتراف بقدراتهم. إذ إنهم يمتلكون خبرةً غير عادية في إدارة العمليات التي يُطلَب منهم تنفيذها".

وفي مؤتمرٍ صحفي في عام 2007، قال الكولونيل دونالد بيكون، رئيس قسم العمليات الخاصة والمعلومات الاستخباراتية في قوات التحالف آنذاك: "الصورة العامة تشير إلى أنَّ فيلق رمضان هو المنظمة التي تُجري عملياتٍ هنا في العراق لاستغلالها في أغراضها، وأنَّ أفرادها هم الأشخاص الذين ينقلون الأسلحة والتمويلات إلى داخل العراق، ويساعدون في ترتيب إرسال متطرفي الميليشيات العراقية إلى إيران لتدريبهم، ثم إعادتهم إلى العراق".

ما هو فيلق رمضان؟

كان فيلق رمضان الوحدة المسؤولة عن إثارة الفوضى في العراق، وقد كان فروزنده قائدها بعض الوقت على الأقل. وقسَّمت الوحدة -التي يعود تاريخها إلى الحرب العراقية الإيرانية- قواتها بين حفنة من القيادات الفرعية على طول الحدود العراقية. وكان فروزنده عمل في قيادة «فجر»، التي يقع مقرها في مدينة الأهواز الإيرانية والتي تولَّت إجراء عملياتٍ في البصرة وجنوب العراق، ثم ترقَّى عبر المناصب حتى أصبح نائب قائد فيلق رمضان.

وبحلول عام 2007، حين بلغ العنف في العراق ذروته، أجرت تقارير الاستخبارات الأمريكية دراسةً للعمليات الإيرانية السرية في العراق في الوقت الذي صرفت فيه الولايات المتحدة انتباهها عن التمرُّد الجهادي وبدأت تُركِّز على العنف الذي تحرِّضه إيران ووكلاؤها.

وتتضمن الوثائق تقارير أوَّلية موصوفةً بأنَّها معلوماتٌ استخباراتية «لم تُقيَّم نهائياً» من مصادر وُصِفَت دوافعها بأنَّها «تستند إلى تجارب جيدة لها مع القوات الأمريكية ورغبتها في تخليص العراق من التأثيرات الأجنبية المدمرة»، لكنها تتماشى إلى حدٍ كبير مع ما قاله المسؤولون الأمريكيون عن فيلق رمضان وأفراده.

وإذا نظرنا إلى الوثائق والتقارير معًا، سنجد أنها تُظهِر حملة واسعة النطاق من «العنف السري» جرت تحت قيادة فروزنده وفيلق رمضان.

ويُركِّز جزءٌ كبير من الوثائق على توضيح تفاصيل العملية المدروسة الدقيقة التي اتبعتها «فرقة الموت الذهبي» -التي تشرف عليها إيران- في استهداف تنفيذ اغتيالاتٍ ضد العراقيين ومعظمهم من السنة، الذين اعتبروهم عقباتٍ أمام مصالحهم، وكيف صدَّقت على تلك الاغتيالات ونفَّذتها.

وذكر التقرير أنَّ الوحدة «تتكون من قادة استخباراتيين إيرانيين يُقدِّمون التوجيه والتمويل إلى العراقيين الذين يُجنِّدون من (جيش المهدي)، وفيلق بدر، وحزب الفضيلة، وأحزاب وميليشيات شيعية عراقية أخرى تُنفِّذ اغتيالاتٍ ضد أعضاء سابقين في حزب البعث، وعراقيين يعملون مع (قوات التحالف)، وعراقيين لا يدعمون النفوذ الإيراني في العراق».

إنشاء وتدريب الميليشيات العراقية

وأشرف ضباطٌ إيرانيون على نقل أعضاء عراقيين في فرق الاغتيال إلى مدينة الأهواز، التي يقع فيها مقر قيادة فجر التابعة لفيلق رمضان، من أجل تدريبهم. وشملت الدورة التي استمرت 10 أيام تعليماتٍ من الضباط الإيرانيين حول «جمع المعلومات لدعم استهداف أفراد قوات التحالف في العراق، وتنفيذ الاغتيالات، واستخدام أنظمة إطلاق النار غير المباشر مثل صواريخ كاتيوشا وقذائف هاون» حسب ما جاء في التقرير. وكذلك درَّبت إيران وكلاءها على استخدام «ما وُصِف بأنه متفجرات متطورة للغاية يمكنها اختراق دروع (قوات التحالف)» في إشارةٍ واضحة إلى العبوات الناسفة الخارقة الإيرانية الصنع سيئة السمعة، التي قتلت مئات القوات الأمريكية وألحقت بهم إصابات بالغة.

وعندما كان الوقت يحين لتقرير هوية الأشخاص المستهدف قتلهم، كان ضباط فيلق القدس يُجرون عمليةً لاتخاذ قرار حاسم في الأشخاص المستهدفين، وتكليف الحلفاء العراقيين بدورٍ في تنفيذ الاغتيال، وفقاً للوثائق. وتُضيف الوثائق: «يُسمَح للعراقيين الذين يعملون مع الإيرانيين بإعداد قوائم بالعراقيين المستهدف اغتيالهم. ومعظم هؤلاء العراقيين المخوَّلين باتخاذ القرارات بشأن هوية الشخص الذي سيُقتَل على يد فرقة الموت الذهبي أعضاءٌ في الحكومة العراقية وقوات الأمن». وورد في الوثائق أنَّ هناك اجتماعاتٍ لفرقة الاغتيال كانت تُقام في مكتب مُحافِظ البصرة وكان بعض أفراد شرطة البصرة «يحضرونها بصفةٍ روتينية».

وكذلك كان بعض ضباط الاستخبارات الإيرانيين يُحدِّدون قائمة اغتيالٍ خاصة من منظورهم. ثم كانت القائمة تُسلَّم إلى أحد أعضاء فيلق بدر المدعوم من إيران. ويوصف الضابط الإيراني الذي كان يُسلِّم القائمة -والذي غُيِّر اسمه الحقيقي في التقرير- بأنَّه «إيراني فارسي يتقن اللهجة العربية العراقية، ولديه لكنةٌ عراقية جنوبية بسبب السنوات التي قضاها في العراق».

تخطيط وتنفيذ اغتيالات بالجملة

وتروي الوثائق كيف أدار أحد ضباط فيلق القدس، المُكلَّف بالعمل تحت إمرة فيلق رمضان بمقر قيادة فجر جنوبي العراق، عميلاً عراقياً كان يُصوِّر مُخبري التحالف لصالح الحرس الثوري. وبعدها يقوم ضابط فيلق القدس الذي لم يكشف عن اسمه «بتمرير الصور إلى العراقيين الذين يُكلِّفهم ويُموِّلهم لقتل الشخصيات التي تحدَّدت من خلال تقارير وصور [العملاء]».

وفي إحدى الحالات، تُشير التقارير إلى تدخُّل فروزنده لمساعدة إحدى ميليشياته الحليفة، بعد إلقاء ضباط التحالف القبض عليهم.

تهريب الأسلحة للميليشيات الشيعية

وإلى جانب عمليات الاغتيال، جاءت الأسلحة والمدربون الإيرانيون. كما أشارت الوثائق التي

حصل عليها موقع The Daily Beast الأمريكي إلى أنّ الوحدة أشرفت على "جهاز تهريبٍ مُعقّد من الأهواز في إيران وحتى العراق. ومرّت عبرها الأسلحة، والمعلومات، والدعم المالي، وضباط الاستخبارات الإيرانية". وتنطلق رحلة الأموال والأسلحة والضباط الإيرانيين من الأهواز، قبل تسليمها إلى المُهرّبين على الحدود مع العراق.

وبقدر عنف فترة فروزنده في عصر الاحتلال إبان حرب العراق؛ لكنّه لم يكُن كارهاً للدبلوماسية السرية بالكامل. إذ التقى أحمد الجلبي، عضو جماعة الضغط العراقي المنفي الذي ساعد على دفع إدارة بوش إلى الحرب في العراق، بفروزنده ربيع عام 2004، بحسب مذكرات الجلبي التي نشرها الصحفي وكبير مراسلي موقع The Daily Beast السابق آرام روستون عام 2008. وفي ذلك الوقت، كان الجلبي قد تحوّل من عضو جماعة ضغط مؤيد للحرب إلى عضوٍ في البرلمان العراقي، وبدأ يسعى للتكيّف مع نفوذ إيران الجديد في السياسات العراقية.

وبعد وقتٍ قصير من لقائهما، علمت الولايات المتحدة أنّ الاستخبارات الايرانية أدركت فجأةً أنّ الجواسيس الأمريكيين كانوا يقرأون برقياتهم بعد أن كسروا رموز تشفيرها. وبعد بضعة أشهر، قال مسؤولو الاستخبارات الأمريكية لصحيفة The New York Times إنّهم يعتقدون أنّ الجلبي دخل إلى السفارة الإيرانية في بغداد وكشف العملية لرئيس فرع الاستخبارات الإيرانية في السفارة. وأنكر الجلبي أيّ تورّطٍ في التسريب، لكنّ الواقعة دفعت بإدارة بوش لإنهاء علاقتها معه.

فروزنده ورحلة الصعود إلى القمة

عمل والد فروزنده لصالح شركة عبادان النفطية، وحين ترك الشركة؛ انتقلت عائلته المكوّنة من 13 ابناً وابنة إلى خرمشهر (المحمرة) على الجانب الآخر من الحدود أمام مدينة البصرة العراقية. وكان ابنه أحمد من أوائل مؤيّدي الثورة الإسلامية الإيرانية، وهو الموقف الذي أدّى إلى سجنه خلال فترة الجامعة -على أيدي الشرطة السرية للشاه الحاكم-، ولكنّه استفاد في النهاية من المكافآت الثورية التي أتت بفضل موقفه إثر الإطاحة بحكومة الشاه.

وفي الأيام المُبكّرة للثورة الإسلامية، عمل فروزنده مع الحرس الثوري من أجل التعرّف -والقبض- على المعارضين العرب الذين يُعارضون الحكومة الجديدة في خرمشهر. وساعدت معرفته بالمنطقة، والتزامه المُثبت تجاه النظام، وخلفيته في العمل السري على جعله مناسباً بالفطرة للعمل الاستخباراتي حين بدأت حرب إيران مع العراق.

وأوضح أمير توماج، الباحث الإيراني الذي كتب كثيراً عن فيلق القدس: «عقب الغزو العراقي، كان فروزنده رئيس الاستخبارات في وحدة خرمشهر، والتي أدّت لاحقاً دوراً محورياً في استعادة المدينة من البعثيين عام 1982».

وقال توماج: «تُشير سيرته الذاتية إلى أنّه

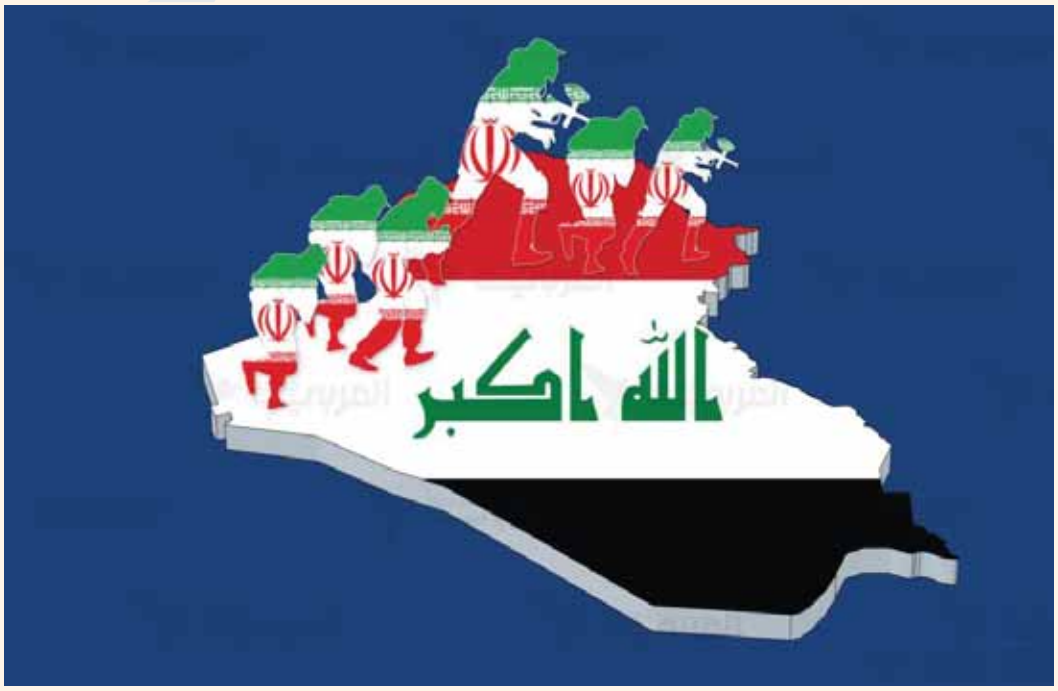

بدأ تطوير علاقةٍ مع حسن باقري إبان سقوط خرمشهر، وكان يُرسل له التقارير». وقُتِل باقري، مؤسس جهاز استخبارات الجمهورية الإسلامية، خلال الحرب لكنه صار لاحقاً واحداً من أشهر «شهداء» إيران. ويُعتبر شقيقه محمد باقري الآن أعلى ضابط عسكري رتبةً في إيران، وهذا النوع من العلاقات هو ما مهّد الطريق أمام صعود فروزنده إلى أعلى رتب الحرس الثوري.

وفي وقتٍ لاحق من الحرب، ترك فروزنده منصبه في كتيبة بدر الـ22 بخرمشهر، وانضم إلى فيلق رمضان. وكانت الوحدة الجديدة مُشكّلةً للتعامل مع الجماعات المُعارِضة في العراق، وتنفيذ عمليات حرب العصابات وراء خطوط العدو، وذلك بالتزامن مع استمرار الأسلوب الثابت لحرب الخنادق التي ميّزت الصراع الإيراني العراقي.

وداخل مقر فجر التابع لفيلق رمضان، حيث عمل فروزنده للمرة الأولى، نفّذت الوحدة عمليات بالتعاون مع الجماعات الشيعية العراقية مثل فيلق بدر، وكان «يُعتقد في الأصل أنّ الميليشيا ملحقةٌ بفيلق رمضان التابع لفيلق القدس بالحرس الثوري»، بحسب برقيةٍ لوزارة الخارجية عام 2005. وأوردت تلك البرقية أيضاً أنّ الفيلق يحصل على دعم الذراع السياسي: المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق.

وخلال الحرب بين إيران والعراق، كان البث الإذاعي في طهران يُشيد بعمليات «مقر رمضان» الذي تبنّى محاولات اغتيال وزير داخلية صدام -سمير الشيخلي- في بغداد بالتعاون مع «المجاهدين العراقيين» و«الإعدام الثوري» لمسؤول حزب البعث في حي المنصور ببغداد، وإضرام النيران في واحد من قصور صدام في بغداد.

وحين انتهت الحرب، ظلّ فيلق رمضان وفروزنده مهتمين بالشأن العراقي، وخاصةً إبان الانتفاضة الشيعية ضد صدام بنهاية حرب الخليج. إذ قالت إحدى الروايات الإخبارية الإيرانية إنّ فروزنده هو المسؤول عن العمل مع الميليشيات المدعومة من إيران لمساعدة الانتفاضة «من أجل تسريع دعم المجاهدين العراقيين»، لأنّ وحدته بمقر فجر التابع لفيلق رمضان كانت هي الأقرب إلى الثورة في البصرة.

وبعد أن أنهت الولايات المتحدة احتلالها للعراق، أعطى فروزنده -ذو الشعر الرمادي الباهت- كل الانطباعات التي تُشير إلى تقاعده واستمتاعه بهوايات كبار السن، رغم فرض الولايات المتحدة عقوبات عليه خلال الحرب. وقال لإحدى المنافذ الإعلامية الإيرانية إنّه تقاعد من فيلق القدس عام 2008، وإنّه يعمل على مشروع تاريخٍ شفهي حول مسقط رأسه. وفي العلن، قضى وقته يتجوّل بين مراسم ذكرى رفاقه الذين سقطوا في المعارك.

فروزنده لم يتقاعد

إذ أشارت وثيقةٌ استخباراتية أخرى رُفِعَت عنها السرية، وحصل عليها موقع The Daily Beast، إلى تلميحاتٍ بأنّ فروزنده لم يتقاعد في النهاية. ويُمثّل التقرير شهادةً على مشاركة مسؤولين إيرانيين بارزين في مشروع متحف "لتوثيق الدروس المستفادة من حرب إيران مع العراق"، ويقترح أنّ فروزنده احتفظ بدورٍ استشاري في عمليات فيلق القدس.

وخلال وصف خلفية المسؤولين الحاضرين في الاجتماع، قال التقرير إنّ فروزنده كان لا يزال منشغلاً بـ "إدارة الجنود والدعم اللوجستي للأنشطة الخارجية الخاصة بفيلق القدس التابع للحرس الثوري". كما أنّ محافظة خراسان الإيرانية "أُضيفت مؤخراً إلى ملف مهامه". وتقع محافظة خراسان على الحدود الشمالية الغربية لأفغانستان، وبحلول عام 2013 كانت إدارة أوباما تزعم منذ سنوات أنّ ضباط فيلق القدس يدعمون طالبان سراً لإضعاف القوات الأمريكية وقوات الناتو في البلاد.

ما هي «الخطه ب» الآن في المفاوضات بين إيران والقوى الكبرى؟

د. جهاد عوده

■■ تدهورت المحادثات في فيينا حتى أنها توقفت، عندما زادت الإدارة الإيرانية الجديدة المتشددة مستويات تخصيب اليورانيوم وقدمت مقترحات قال المسؤولون الأمريكيون في نهاية الأسبوع إنها «غير جادة» لأنهم تراجعوا عن كل التقدم الذي تم إحرازه في الجولة السابقة. كما أكد المسؤولون الأمريكيون أنهم سيمضون قدمًا في عقد اجتماع طارئ لمجلس المفتشين النوويين التابعين للوكالة الدولية للطاقة الذرية قبل نهاية العام إذا لم تستعد إيران مستوى الوصول إلى مواقعها النووية الذي يرضي الوكالة الدولية للطاقة الذرية. في طهران أصر المسؤولون على أن النصين الرئيسيين للعقوبات والتزامات إيران النووية اللذين تم طرحهما في محادثات فيينا يتماشيان تمامًا مع الاتفاق النووي، قائلين إن العقبة الحقيقية هي رفض الولايات المتحدة رفع العقوبات. زعم المسؤولون الأمريكيون أن روسيا والصين «فوجئتا بالدرجة التي تراجعت بها إيران عن التسويات الخاصة بها» عن الجولات السابقة من المحادثات ، فضلًا عن كونها أكثر تصميمًا بشأن المطالب التي تطالب بها الولايات المتحدة والآخرين. وقال المسؤول الأمريكي الكبير: «أعتقد أنهما يشتركان في الشعور بخيبة الأمل، لوصف الأمر دبلوماسيًا، فيما اختارت إيران القيام به خلال الأشهر العديدة الماضية من التحضير للمحادثات».

استؤنفت المحادثات المباشرة التي تضم إيران وروسيا والصين وألمانيا وفرنسا والاتحاد الأوروبي في فيينا الأسبوع الماضي بعد تأجيل دام خمسة أشهر لمنح الإدارة الإيرانية المنتخبة حديثًا برئاسة إبراهيم رئيسي الوقت لمراجعة مطالبها. وصار من الواضح لروسيا والصين أن إيران «لم تتبنى موقف الدولة التي كانت تفكر بجدية في العودة السريعة إلى الامتثال المتبادل للاتفاق». يعتبر نهج الروس والصينيين أمرًا بالغ الأهمية منذ أن أصر النظام الإيراني المتشدد الجديد على أنه قادر على الابتعاد عن المحادثات مع الغرب، وترك برنامجها النووي فعليًا دون قيود، وتمويل أجندة الرفاهية المحلية من خلال التجارة مع الشرق. سيكون الاجتماع الطارئ لمجلس إدارة الوكالة الدولية للطاقة الذرية في الأسبوعين المقبلين بمثابة اختبار مبكر لما إذا كانت إيران تخسر حماية روسيا أو الصين. زعم المسؤول الأمريكي أن إيران بدأت في عزل نفسها عن حلفائها الطبيعيين الذين نفد صبرهم، وقال: «أعتقد أن العالم، الذي كان لفترة طويلة خلال حملة الضغط الأقصى - التي طبقها دونالد ترامب من -2018 أكثر تعاطفًا مع موقف طهران. أعتقد أننا نرى بوضوح شديد أن البلدان في جميع أنحاء العالم أصبحت الآن أكثر وعيًا

صار من الواضح لروسيا والصين أن إيران «لم تتبنى موقف الدولة التي كانت تفكر بجدية في العودة السريعة إلى الامتثال المتبادل للاتفاق»

بحقيقة أن إيران تتخذ موقفًا لا يتوافق مع هدفها المعلن المتمثل في العودة إلى خطة العمل الشاملة المشتركة (الاتفاق النووي لعام 2015) وتسريعها. البرنامج النووي هو معروض أ في ذلك.»

ولم يرد المسؤولون الأمريكان بشكل مباشر عما إذا كان يعتقد أن المخاوف الصينية بشأن الانتشار النووي الإيراني ستمتد إلى إنهاء استيراد النفط الإيراني، الذي يقدر بنحو نصف مليون برميل يوميًا، وهو أحد شرايين الحياة التي أبقت الاقتصاد الإيراني على قدميه. وأشار أيضًا إلى الطريقة التي أصدرت بها دول الخليج بيانًا لدعم استئناف الاتفاق النووي، وهو تغيير في موقفها السابق. من المقرر أن يزور الشيخ طحنون بن زايد آل نهيان، أكبر مسؤول في الأمن القومي في الإمارات العربية المتحدة، طهران خلال هذا الاسبوع . لكن يتعين على الولايات المتحدة أيضًا التعامل مع المطالب الإسرائيلية بأن تعترف الولايات المتحدة بأن إيران متورطة في ابتزاز نووي. قال رئيس الوزراء الإسرائيلي، نفتالي بينيت، لمجلس وزرائه إنه يريد تأجيل مفاوضات فيينا، التي من المقرر أن تستأنف في وقت ما هذا الأسبوع، إلى أن توقف إيران تخصيب اليورانيوم. وقال «على إيران أن تبدأ في دفع ثمن انتهاكاتها». من المحتمل أن يؤدي هجوم عسكري إسرائيلي على المواقع النووية الإيرانية إلى إنهاء أي فرص لضغط روسي أو صيني فعال على إيران لتغيير تكتيكاتها التفاوضية.

على مدار العشرين شهرًا الماضية، اغتال عملاء المخابرات الإسرائيلية كبير علماء إيران النوويين وأثاروا انفجارات كبيرة في أربع منشآت نووية وصاروخية إيرانية، على أمل شل أجهزة الطرد المركزي التي تنتج الوقود النووي وتأخير اليوم الذي قد تتمكن فيه حكومة طهران الجديدة من القيام بذلك. بناء قنبلة. لكن مسؤولي المخابرات الأمريكية والمفتشين الدوليين يقولون إن الإيرانيين أعادوا بسرعة تشغيل المنشآت إلى الإنترنت - غالبًا ما ركبوا آلات جديدة يمكنها تخصيب اليورانيوم بوتيرة أسرع بكثير. عندما عانى مصنع ينتج أجزاء رئيسية من أجهزة الطرد المركزي مما بدا وكأنه انفجار مدمر في أواخر الربيع - دمر الكثير من مخزون قطع الغيار والكاميرات وأجهزة الاستشعار التي ركبها المفتشون الدوليون - استؤنف الإنتاج بحلول أواخر الصيف. وصفها مسؤول أمريكي كبير بسخرية بأنها خطة طهران لإعادة البناء بشكل أفضل.

الضربات والضربات المضادة ليست سوى جزء من التصعيد في الأشهر الأخيرة بين إيران والغرب، وهي مواجهة توشك على أن تبلغ ذروتها مرة أخرى في فيينا. للمرة الأولى منذ تولي الرئيس إبراهيم رئيسي منصبه هذا الصيف، يخطط المفاوضون الإيرانيون للقاء نظرائهم الأوروبيين والصينيين والروس في نهاية الشهر لمناقشة مستقبل الاتفاقية النووية لعام 2015 التي حدت بشدة من أنشطة إيران. حذر المسؤولون الأمريكيون نظرائهم الإسرائيليين من أن الهجمات المتكررة على المنشآت النووية الإيرانية قد تكون مرضية من الناحية التكتيكية، لكنها في النهاية تأتي بنتائج عكسية، وفقًا للعديد من المسؤولين المطلعين على المناقشات التي جرت وراء الكواليس. قال المسؤولون الإسرائيليون إنهم لا يعتزمون الاستسلام، وتجنبوا التحذيرات من أنهم ربما يشجعون فقط إعادة بناء متسارع للبرنامج - وهو أحد المجالات العديدة التي تختلف فيها الولايات المتحدة وإسرائيل حول فوائد استخدام الدبلوماسية بدلًا من فرض.

وعلامة على المزاج المتغير أن علي باقري كاني، كبير المفاوضين النوويين الإيرانيين المعين حديثًا، لا يشير إلى المحادثات القادمة على أنها مفاوضات نووية على الإطلاق. قال السيد باقري كاني، نائب وزير الخارجية، في باريس الأسبوع الماضي «ليس لدينا ما يسمى بالمفاوضات النووية». وبدلاً من ذلك، أشار إليها على أنها «مفاوضات لإزالة العقوبات غير القانونية واللاإنسانية». وتقول إيران إنها ستصر على رفع كل من العقوبات النووية وغير النووية، وإنها بحاجة إلى ضمان عدم تمكن أي رئيس مستقبلي من التخلي عن الاتفاقية من جانب واحد، كما فعل السيد ترامب. يقول مسؤولو إدارة بايدن إن الرئيس لن يقطع مثل هذا الالتزام. قال روبرت مالي، مبعوث وزارة الخارجية بشأن إيران، مؤخرًا إنه في حين أن «إيران في يد اختيار» المسار الذي يجب أن تسلكه، يجب أن تكون الولايات المتحدة والحلفاء الآخرون مستعدين لأي خيار تتخذه طهران. وأشار إلى أن السيد بايدن ووزير الخارجية أنتوني بلينكين «قالا كلاهما إذا فشلت الدبلوماسية ، فلدينا أدوات أخرى - وسنستخدم أدوات أخرى لمنع إيران من امتلاك سلاح نووي». لكن داخل البيت الأبيض، كان هناك تدافع في الأيام الأخيرة لاستكشاف ما إذا كان نوع من الاتفاق المؤقت ممكنًا لتجميد إنتاج إيران لمزيد من اليورانيوم المخصب وتحويل هذا الوقود إلى شكل معدني - وهي خطوة ضرورية في تصنيع رأس حربي. في المقابل، قد تخفف الولايات المتحدة عددًا محدودًا من العقوبات. هذا لن يحل المشكلة. لكنها قد تكسب الوقت للمفاوضات، بينما تمنع التهديدات الإسرائيلية بقصف المنشآت الإيرانية.

قد يكون شراء الوقت، وربما الكثير منه، أمرًا ضروريًا. يشك العديد من مستشاري بايدن في أن فرض عقوبات جديدة على القيادة الإيرانية أو جيشها أو تجارة النفط - فوق 1500 التي فرضها السيد ترامب - سيكون أكثر نجاحًا من الجهود السابقة للضغط على إيران لتغيير المسار. والخطوات الأكثر عدوانية التي نجحت منذ سنوات قد لا تسفر عن نوع النتائج التي تفكر فيها. داخل وكالة الأمن القومي والقيادة الإلكترونية الأمريكية، هناك إجماع على أنه من الأصعب بكثير الآن تنفيذ هذا النوع من الهجمات الإلكترونية التي شنتها الولايات المتحدة وإسرائيل منذ أكثر من عقد من الزمان، عندما تم إجراء عملية سرية أطلق عليها اسم «الألعاب الأولمبية» أجهزة الطرد المركزي المعطلة في موقع التخصيب النووي في نطنز لأكثر من عام . يشير المسؤولون الأمريكيون والإسرائيليون الحاليون والسابقون إلى أن الإيرانيين قد حسّنوا منذ ذلك الحين دفاعاتهم وأنشأوا قواتهم الإلكترونية الخاصة ، والتي حذرت الإدارة الأسبوع الماضي من أنها كانت نشطة بشكل متزايد داخل الولايات المتحدة . كما واصل الإيرانيون منع المفتشين من دخول المواقع الرئيسية، على الرغم من سلسلة من الاتفاقات مع رافائيل إم غروسي، رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وهي هيئة مراقبة تابعة للأمم المتحدة ، للحفاظ على البيانات من أجهزة استشعار الوكالة في المواقع الرئيسية. لم يتم استبدال كاميرات وأجهزة الاستشعار الخاصة بالمفتشين التي دمرت في انفجار المصنع أواخر الربيع. قال السيد غروسي في مقابلة أجريت معه مؤخرًا في واشنطن، حيث أمضى أسبوعًا يتحدث مع المسؤولين الأمريكيين ويحذرهم من أن وكالته «تعمى» ببطء في إيران.

ومن المقرر أن يصل إلى طهران يوم الاثنين، في محاولة أخيرة لإحياء المراقبة والتفتيش قبل اجتماع مجلس محافظي الوكالة هذا الأسبوع.

غروسي، رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة، وصل إلى طهران يوم الاثنين في محاولة لإعادة إحياء عمليات المراقبة والتفتيش في إيران. فجوة التفتيش مقلقة بشكل خاص لأن الإيرانيين يعلنون أنهم أنتجوا الآن ما يقرب من 55 رطلًا من اليورانيوم المخصب حتى درجة نقاء 60 في المائة. هذا النقاء أقل من 90 في المائة المستخدمة عادة لإنتاج سلاح، ولكن ليس كثيرًا. قال السيد غروسي إنه مستوى «تمتلكه الدول التي تصنع القنابل فقط». هذا لا يعني أن إيران تفعل ذلك. لكن هذا يعني أنه مرتفع للغاية «. وبينما قدم المسؤولون الإيرانيون العديد من التفسيرات لسبب اتخاذهم لهذه الخطوة - على سبيل المثال، تزويد المفاعلات النووية البحرية، التي لا تمتلكها إيران - يبدو أن السبب الحقيقي هو ممارسة الضغط. هذا الشهر، أشار المتحدث باسم وكالة الطاقة الذرية الإيرانية، بهروز كمالوندي، بفخر إلى أن الدول التي تمتلك أسلحة نووية فقط هي التي أظهرت أنها تستطيع تخصيب اليورانيوم إلى هذا المستوى. (إنه مخطئ: لقد فعلت العديد من الدول غير النووية). قال: «في هذه المنظمة الآن، إذا كانت لدينا الإرادة، فيمكننا فعل أي شيء».

قبل أن يقرر الرئيس ترامب إلغاء الصفقة، التزمت إيران بحدود اتفاقية عام 2015 - والتي أبقتها وفقًا لمعظم التقديرات لمدة عام تقريبًا من «الاختراق» ، وهي النقطة التي تمتلك فيها موادًا كافية لصنع قنبلة. في حين أن التقديرات تختلف ، فإن هذا المخزن المؤقت انخفض الآن إلى ما بين ثلاثة أسابيع وبضعة أشهر، مما قد يغير الحسابات الجيوسياسية في جميع أنحاء الشرق الأوسط. عندما تولى السيد بايدن منصبه، كان لدى العديد من كبار مساعديه آمال كبيرة في إمكانية إحياء الصفقة الأصلية - التي تفاوضوا على أجزاء منها. في ذلك الوقت، كان الإيرانيون الذين وافقوا على الاتفاق لا يزالون في مكانهم؛ ظل الرئيس الإيراني حسن روحاني ووزير خارجيته محمد جواد ظريف في مناصبهم ، حتى لو تضاءلت سلطتهم إلى حد كبير. لكن ثبت أن ذلك خطأ في التقدير. في أواخر سبتمبر، قال وزير الخارجية الجديد للبلاد ، حسين أميررابدالاهيان، لصحيفة نيويورك تايمز إنه ليس لديه مصلحة في إجراء نوع من المفاوضات التفصيلية التي عمل سلفه عليها لسنوات. قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية، سعيد خطيب زاده، في مؤتمر صحفي عقده مؤخرًا، إن إيران لديها ثلاثة شروط لواشنطن للعودة إلى الصفقة؛ يجب أن تعترف بارتكاب خطأ في الانسحاب من الصفقة، ويجب أن ترفع جميع العقوبات دفعة واحدة، و يجب أن تقدم ضمانة بعدم خروج أي إدارة أخرى من الصفقة كما فعل ترامب. قال غيس قريشي، مستشار السياسة الخارجية المقرب من الحكومة الإيرانية: «من المستحيل تمامًا أن تقدم إيران مستوى التنازل للولايات المتحدة الذي قدمته حكومة روحاني». لن نعطي جميع بطاقاتنا ثم ننتظر لنرى ما إذا كانت الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي ستلتزمان بالصفقة أم لا ؛ هذا لن يحدث بأي حال من الأحوال.

عندما تولى الرئيس بايدن منصبه، كانت الآمال كبيرة داخل البيت الأبيض في إمكانية استعادة الصفقة التي توصلت إليها إيران مع إدارة أوباما. بينما يقول المسؤولون الأوروبيون إنهم لا يريدون التفكير في «الخطة ب» إذا تطورت المواجهة ، فإن مجموعة متنوعة من هذه الخطط - بدءًا من العزلة الاقتصادية إلى التخريب - كانت موضوعًا منتظمًا للاجتماعات في البيت الأبيض والبنتاغون ووزارة الخارجية. قسم. عندما سئل عن مناقشات الخطة (ب) في مؤتمر صحفي قبل أكثر من أسبوعين، توقف السيد بايدن للحظة ، ثم قال، «لن أعلق على إيران الآن». لكن الإسرائيليين يعلقون. هذا الشهر، قال رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، اللفتنانت جنرال أفيف كوخافي، إن الجيش الإسرائيلي «يسرّع الخطط العملياتية والاستعداد للتعامل مع إيران والتهديد العسكري النووي». كانت إشارة إلى حقيقة أن رئيس الوزراء الجديد، نفتالي بينيت، قد سمح بمزيد من التمويل للتخطيط وممارسة الهجمات. يصر المسؤولون الإسرائيليون على أنهم طوروا قدرة على اختراق المخابئ التي تلغي الحاجة إلى نوع المساعدة التي سعوا إليها من إدارة بوش قبل 13 عامًا. ما إذا كان هذا صحيحًا أم أنه خدعة تظل غير واضحة.

وقفة تضامنية مع القادة الأحوازيين المحتجزين في الدنمارك

أميرة نصار

■■ احتج العشرات من الأحوازيين أمام المحكمة الدنماركية في كوبنهاغن للمطالبة بإطلاق سراح حبيب جبر رئيس حركة النضال العربي لتحرير الأحواز ورفاقه المحتجزين في الدنمارك.

يذكر أن القادة الأحوازيين قيد الاحتجاز منذ فبراير/شباط 2020 بتهم تتعلق بما أسماه الأمن الدنماركي دعم الإرهاب في إيران والتجسس لصالح دول معادية لإيران.

طالب المحتجون بإطلاق سراح حبيب جبر وهو القائد الذي خاض الحراك الأحوازي ضد النظام الإيراني في السنوات الماضية بالإضافة إلى يعقوب حر التستري مسؤول المكتب الإعلامي لحركة النضال العربي لتحرير الأحواز، وناصر جبر شقيق رئيس الحركة أحد القيادات البارزة.

يشار إلى أن يعقوب حر أضرب عن الطعام داخل حجزه لـ 25 يومًا وذلك للتعبير عن رفضه للتهم الموجهة إليهم.

من جانبه شدد القيادي الأحوازي ناصر عزيز على رفض الأحوازيين تلك التهم الموجهة لرفاقه قائلًا إننا كما قال قائدنا حبيب جبر نحن نناضل لأجل تحرير أرضنا وشعبنا من دنس الاحتلال وفي سبيل ذلك لا نخشى أحدًا وإننا نضحي بالغالي والنفيس لأجل ما نؤمن به.

إلى ذلك قال محامي حبيب جبر أن المحاكمة جارية ونأمل نهايتها في الأيام المقبلة في إشارة منه إلى أن المحكمة تجري لصالح القيادات الأحوازية وإلى وقتنا الراهن لم تثبت أي تهمة موجهة على موكله.

يذكر أن الأحوازيين أثارتهم عقد شراكات اقتصادية عديدة بعد اعتقال القادة مما وجه أصابع الاتهام إلى الدنمارك وإيران بعقد صفقات تجارية على حساب الأحوازيين.

Frihedskæmper
Freedom fighters
HABIB
CONQUERORS YOU
IRANIAN REGIME

الخميني أول من أفتى بالتحول الجنسي.. حكاية المتحولات جنسيًا في الملاعب الإيرانية

أميرة نصار

■■ قصة لاعبي كرة القدم والمتحولين جنسيًا من الرياضيين في إيـران، ملف شائك في أرشيف ذكريات كرة القدم الإيرانية النسائية، يتم تجنب الحديث عنها في كثير من الأحيان، بحجة أن إثبات الأمر سيكون وصمة عار في تاريخ الرياضة النسائية الإيرانية.

بـدأت كرة القدم النسائية في إيـران في عام 1996، كانت هذه الرياضة الجديدة التي تحاول الخروج للنور بالنسبة للنساء، مازالت غير منتشرة ولا تجذب أنظار الكثير من النساء، لكنها فتحت الباب أمام الرجال المتحولين جنسيًا، أي الذين ولدوا ذكورًا، ولكنهم عاشوا بهوية جنسية أنثوية.

التحول الجنسي، أمـر شائع فـي الجمهورية الإيـرانيـة، وغير محرم عندهم لفتوى مؤسس الجمهورية، موسوي الخميني، في الثمانينات، ففي السنوات الأولى لنجاح الثورة الإيرانية، جاء رجل يدعي «فريدون»، محاولًا مقابلة زعيم الجمهورية الجديد، الخميني، ليعرض عليه مشكلته التي كانت تتعلق بهويته الجنسية، فهو ذكر لكنه يشعر أنه امرأة ويرغب في التحول ويبحث عن فتوى شرعية من رجال الدين للقيام بعملية التحول الجنسي.

بعد الكثير من المناقشات، أصدر الخميني فتوى بإيجاز التحول الجنسي، في بداية الأمـر، لم تكن عمليات التحول الجنسي متاحة في إيران، لكن بمرور الوقت أصبح التحول الجنسي مألوفًا للغاية في إيران.

في التسعينات، وقت إنشاء الاتحاد النسائي لكرة القدم في إيـران، لم تكن حالات التحول الجنسي، منتشرة كما هو الحال الآن، لذلك تم قبول عدد من اللاعبات اللاتي خضعن لهذه العملية، وعند تشكيل المنتخب الوطني لكرة القدم النسائية دخل عدد كبير من اللاعبات المتحولات جنسيًا إلى اللعبة.

تقول إحدى المدربات المخضرمات لفريق كرة القدم النسائي الإيراني، في مقابلة صحفية قديمة: «لم نكن على علم ودرايـة جيدة بمسألة التحول الجنسي، كنا فقط سعداء بوجود لاعبات يتمتعن بقوة بدنية عالية مثل الرجال ويؤدين بشكل جيد في التدريبات على أرض الملعب» حينها لم تكن تعلم المدربات والمدربين بأن اللاعبات متحولات جنسيًا.

مؤخرًا، تصدرت رسالة من رئيس الاتحاد الأردني لكرة القدم، كان قد نشرها على حسابه الشخصي على موقع توتير عناوين الصحف، خارج إيران، كانت رسالته التي تتضمن صورة «زهرة كودائي» حارسة مرمى الفريق الوطني الإيراني لكرة القدم النسائية، ويطالب الاتحاد الآسيوي لكرة القدم بأن يحقق في جنس السيدة كودائي، بعد الشكوك من الجانب الأردني أن اللاعبة رجل وليست سيدة.

أقيمت مباراة بين المنتخبين الإيراني والأردني في شهر أكتوبر/تشرين الأول الماضي، واستطاع المنتخب الإيراني انتزاع الفوز وهزيمة نظيره الأردنـي في تصفيات كأس آسيا، التي وصل إليها المنتخب الإيراني لكرة القدم النسائية لأول مرة، لكن فجأة قرر رئيس الاتحاد الأردني نشر شكوكه المزعومة حول جنس حارسة مرمى الفريق الإيراني بعد شهرين من المباراة.

ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي يفعل فيها الأردنيون ذلك الأمر، ويثيرون نفس المسألة، ففي بطولة غرب آسيا عام 2011 تم تتويج المنتخب الإيـراني لكرة القدم النسائية كوصيف للفريق الفائز، كما فازت اللاعبة الإيرانية «مريم رحيمي» بجائزة أفضل لاعبة في البطولة، بسبب أدائها الرائع في مباراة فريقها مع المنتخب الأردني.

حينها تصدرت «مريم رحيمي» عناوين الصحف الأردنية، لكن ليس لمهاراتها وقدراتها الفنية العالية، ولكن للتشكيك في جنسها كما حدث مؤخرًا مع زهرة كودائي، فكانت العنوان الأبـرز للصحافة الأردنية آنـذاك «زهـرة آسيا رجـل» في إشـارة إلـى السيدة رحيمي.

إنطلاق الموقع الإلكتروني لـ «مركز الخليج للدراسات الإيرانية»

www.alkhalej.net

مركز الخليج للدراسات الإيرانية

ALKHALEEJ CENTER FOR IRANIAN STUDIES

@alkhalejnet

www.alkhalej.net